كشف الشُبه الفقهية للملاحدة في العبادات والأحوال الشخصية في ضوء الشريعة الإسلامية والعلم الحديث

دكتورة

هناء فهمي أحمد عيسى

الأستاذ المساعد بقسم الفقه العام
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

١٤٣٨ هـ ٢٠١٧ م

الإهداء

الزهراء

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضى الله عن الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد:

فإن العالم الإسلامي اليوم يجد نفسه ـ شاء أم أبَى ـ في ظل نظام عالمي جديد، تغيرات فيه توازنات القوى العالمية، وتعددت فيه القضايا المطروحة على الساحة الدولية، وفي ظل هذه المتغيرات تزداد الحملات العدائية الموجهة ضد الإسلام قوة وشراسة، لتجعل من الهُوِيَّة الإسلامية لدى المسلمين شكلا خاليا من المضمون، وقالباً فارغاً من المحتوى، ومن ثم يغدو كل إنجاز يمكن لأمة الإسلام تحقيقه في مهب الريح، لأنه يصير دعاوى جوفاء، لا صلة لها بجوهر الإسلام وعقيدة التوحيد .

وللوصول إلى هذه الغاية يضع أعداء الإسلام المسلمين كل يوم أمام العديد من التحديات، يأتي في مقدمتها التحدي الفكري، الذي يعد أعمق التحديات، وأعقدها، بحيث تتضاءل بجانبه التحديات الاقتصادية، والسياسية ... وغيرها من التحديات، نظراً لأن التحدي الفكري من شأنه أن يهدد الوجود، ويمس الكيان، ويزعزع الأساس، الذي يقوم عليه مفهوم الأمة الإسلامية المستخلص من دينها، وتراثها، وأقوال فقهاء الأمة وعلمائها.

ويبرز التحدي الفكري لأمة الإسلام في هذا السعي الدءوب المتجدد من أعداء الإسلام للنيل منه، والطعن فيه، من أجل خنق الأمة الإسلامية

بألوان متباينة من التسلل الفكري في شتى المناحي الفكرية والثقافية والاجتماعية .

ومن أخطر مجالات هذا التسلل الفكري الشبهات التي يثيرها الملحدون على الإسلام وشريعته، وهي متجددة لا تتوقف، متطورة تسعى دائماً إلى تطوير أساليبها، وحيلها ودسائسها ليتسنى لها إحداث تغيرات جذرية وعميقة في الشخصية الإسلامية، وهو ما يفرض على المسلمين تسليح أنفسهم في شتى المجالات بكل ما يُمَكِّنُهُمْ من التعامل الإيجابي مع هذه المتغيرات،ويحمي كيان الأمة ويصون لها شخصيتها، ويحفظ لها دينها الذي هو عصمة أمرها، ويبرز الإسلام في صورته الوضاءة الناصعة، ويؤكد خلود شريعته، وصلاحيتها لقيادة الإنسانية في هذا العصر، وفي كل عصر .

وهذا بحث موجز في كشف الشُبه الفقهية للملاحدة في العبادات والأحوال الشخصية في ضوء الشريعة الإسلامية والعلم الحديث، أكشف من خلاله الشُبه الفقهية التي يثيرها الملاحدة، وأبين أن التشريعات الفقهية جاءت لتأمين مصالح الناس بجلب النفع لهم ودفع الضرر عنهم، وهو ما تؤكده البحوث العلمية الحديثة التي تكشف لنا يوما بعد يوم إعجازاً علمياً جديداً في تعاليم ديننا الحنيف، وأن الأسرار المدخرة فيها أضعاف ما كنا نتوقع، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١)، حيث يكمن في تشريع الأحكام الفقهية سر ما كان لرجل أمي لم يقرأ ولم يكتب، وليس لديه علم بحضارة الأمم السابقة، أن يخبر بهذه التشريعات قبل

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

أكثر من ألف وأربعمائة عام، وأن يعرف ما فيها من فوائد، إلا إذا كانت بأمر من العليم الخبير أوحاه الله إليه من عظيم حكمته، وأسرار ملكوته،وإنه لمن عظيم الإعجاز الإلهي أن تتوافق موازين الشرع، وموازين العلم في هذا التشريع، فهل من مدّكر .

سبب اختيار الموضوع: الإسهام في كشف الشُبه الفقهية التي يثيرها الملاحدة في العبادات والأحوال الشخصية بالحجة والبرهان .

خطة البحث: يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة:

تشمل تقديم، وسبب اختيار الموضوع، وخطة البحث .

التمهيد:

معنى الإلحاد،، وأسبابه، وآثاره، وكيفية مواجهته .

ويشمل:

أولا : تعريف الإلحاد .

ثانيا: نشأة الإلحاد .

ثالثا: أسباب الإلحاد وانتشاره .

رابعاً: آثار الإلحاد في حياة الإنسان .

خامساً: كيفية مواجهة الإلحاد .

الفصل الأول:

كشف الشُبه الفقهية للملاحدة في العبادات في ضوء الشريعة الإسلامية، والعلم الحديث.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: كشف شبهة الملاحدة في الطهارة .

المبحث الثاني: كشف شبهة الملاحدة في الزكاة .

المبحث الثالث: كشف شبهة الملاحدة في الصيام .

المبحث الرابع: كشف شبهة الملاحدة في أن مناسك الحج بقايا وثنية صريحة.

الفصل الثاني :

كشف الشُبه الفقهية للملاحدة في الأحوال الشخصية في ضوء الشريعة الإسلامية والعلم الحديث.

ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول: كشف شبهة الملاحدة في الدعوة إلى إباحة الاختلاط والعلاقات الحرة بين الرجال والنساء .

المبحث الثاني: كشف شبهة الملاحدة في أن المهر في الإسلام ثمن لشراء المرأة والاستمتاع بها.

المبحث الثالث: كشف شبهة الملاحدة في إباحة تعدد الزوجات للرجال، وعدم السماح للمرأة بالتعدد.

المبحث الرابع : كشف شبهة الملاحدة أن الإسلام لم يبح للمرأة طلاق زوجها كما أباح للرجل من باب المساواة .

المبحث الخامس : كشف شبهة الملاحدة في عدم مساواة الإسلام بين الذكر والأنثى في الميراث .

الخاتمة:

تشمل أهم النتائج المستفادة من هذا البحث .

الإهداء

التمهيد:

معنى الإلحاد، وأسبابه، وآثاره، وكيفية مواجهته

.

ويشمل:

أولا : تعريف الإلحاد .

ثانيا: نشأة الإلحاد .

ثالثا: أسباب الإلحاد وانتشاره .

رابعاً: آثار الإلحاد في حياة الإنسان .

خامساً: كيفية مواجهة الإلحاد .

أولا: تعريف الإلحاد:

الإلحاد فِي اللُّغَةِ: المَيْلُ عَنِ القصْد... وأَصل الإلحادِ: المَيْلُ والعُدول عَنِ الشَّيْءِ" (١).

فاللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال: ألحد الرجل،: مالَ، وعَدَلَ، ومارَى، وجادَلَ (٢).

وعلى هذا فلفظ الإلحاد في اللغة يعني الميل، والظلم، والعدول عن القصد، والجورُ عنه، والإعراض قال تعالى: ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾(٣)، ثم يستعمل في كل معوَجّ غير مستقيم" (٤).

الإلحاد في الشرع: الميل عن الطريق المرسوم.

*** * الكفر بجميع الأديان، وإنكار جميع الرسالات** (٥).

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ج٣ ص٣٨٨ ـ ٣٨٩ الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ ـ دار صادر – بيروت .

(٢) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة ج٥ ص ٢٣٦طبعة دار الفكر ، عام النشر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م تحقيق : عبد السلام محمد هارون .

(٣) سورة النحل ، من الآية : ١٠٣.

(٤) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الزَّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ج٩ ص١٣٥المحقق: مجموعة من المحققين ـ الناشر: دار الهداية، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي :تهذيب اللغة ج٤ ص٢٤٤ الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ المحقق: محمد عوض مرعب.

(٥) محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي : معجم لغة الفقهاء ج١ ص٨٧ ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ـ الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الدكتور سعدي أبو حبيب : القاموس الفقهي

والْمَلَاحِدَةُ: الطَّاعِنُونَ فِي الدِّينِ، ففِي الْمِصْبَاحِ، لَحَدَ الرَّجُلُ فِي الدِّينِ لَحْدًا وَأَلْحَدَ إلْحَادًا طَعَنَ(١).

وقال ابْنُ السِّكِّيتِ (٢)**: المُلْحِدُ العادِلُ عَنِ الْحَقِّ المُدْخِلُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، يُقَالُ قَدْ أَلحَدَ فِي الدِّينِ ولحَدَ أَي حَادَ عَنْهُ، والتَحَدَ مِثْلُهُ.**

وَرُوِيَ عَنِ الأَحمر(٣) **أنه قال:**

ص٣٢٨ ، ٣٢٩ الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ـ الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية.

(١) محمد أمين بن عابدين الدمشقي الحنفي : رد المحتار على الدر المختار ج٤ ص٢٠٠ الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ـ الناشر: دار الفكر-بيروت .

(٢) ابن السِّكِّيت (١٨٦ - ٢٤٤ هـ = ٨٠٢ - ٨٥٨ م) يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت: إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد. واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله، لسبب مجهول، من كتبه " إصلاح المنطق - ط " و " الألفاظ - ط " و " الأضداد - ط " و " القلب والإبدال - ط " و " شرح ديوان عروة بن الورد - ط " و " شرح ديوان قيس بن الخطيم - ط " و " غريب القرآن " و " النبات والشجر " و " النوادر " و " الوحوش " و " معاني الشعر " صغير وكبير ،وغير ذلك./ خير الدين الزركلي : الأعلام ج ٨ ص١٩٥ ـ الطبعة: الخامسة عشرة ـ مايو ٢٠٠٢ م الناشر: دار العلم للملايين، ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج٦ ص٣٩٥ الناشر: دار صادر – بيروت ـ المحقق: إحسان عباس.

(٣) الأَحْمَر (٠٠٠ - نحو ٢٠٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٨١٥ م) أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي البجلي بالولاء، أبو عبد الله، المعروف بالأحمر: عالم بالأخبار والأنساب. إمامي. أصله من الكوفة وكان يسكنها تارة ويسكن البصرة تارة أخرى، وممن أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبد

لحَدْت جُرْت ومِلْت، وأَلحدْت مارَيْت وجادَلْت. وأَلْحَدَ: مارَى وجادَل(١).

والملحد في الشرع : هو من مال عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر (٢).

الإلحاد في الاصطلاح:

يستعمل الإلحاد في الاصطلاح في معان منها ماهو قديم، ومنها ماهو معاصر.

فمن معاني الإلحاد بالمعنى القديم:الإلحاد في الدين، وهو: الطعن فيه أو الخروج عنه.

ومنها: الميل عن الحق والصراط المستقيم علماً وعملاً، وهذا عام يشمل الميل عن الإيمان بالله،أو عن التوحيد إلى الإشراك بالله أو الميل عن

الله محمد بن سلام. له كتاب جمع فيه المبدأ، والمبعث والمغازي، والوفاة، والسقيفة، والردة./ الزركلي : الأعلام ج١ ص٢٧ ، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ج١ ص١ الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، الفيروزآبادى : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص٥٦ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠مـ الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.

(١) ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

(٢) محمد أمين بن عمر بن عابدين: رد المحتار على الدر المختار ج٤ ص٢٤١ .

الرسل، فيسمى الدهرية (١) ملاحدة،لأنهم منكرون للخالق والنبوات والمعاد، فهم شر الملاحدة، ولكن جنس الإلحاد لا يختص بهم.

ولفظ الإلحاد عند المتقدمين لم يكن محصوراً في هذا المعانى المذكورة، بل هو يشملها ويشمل كل انحراف عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر (٢).

الإلحاد المعاصر:

الإلحاد المصطلح عليه في هذا العصر يعني: إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، واعتبار تغيرات الكون قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة

---

(١) الدهريون: صنف من الناس أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني.ولقد أخبر الله عنهم في قوله: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ) [سورة الجاثية ، الآية :٢٤]./ أبو الحسن الأشعري : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ص٧٩ الطبعة: ١٤١٣هـ ـ الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ـ المحقق: عبد الله شاكر الجنيدي ، نعمان الآلوسي : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص١٢٩ طبعة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م الناشر: مطبعة المدني ـــ قدم له: علي السيد صبح المدني .

(٢) محمد بن عبد الرحمن الخميس : شرح الرسالة التدمرية ص١٠٤ طبعة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ م الناشر: دار أطلس الخضراء ، عبد الرحمن بن ناصر البراك : شرح الرسالة التدمرية ص٥٥، الموسوعة الفقهية الكويتيةج٦ ص ١٧٧ ، الدكتور سعدي أبو حبيب : القاموس الفقهي ص٣٢٨ ، ٣٢٩ .

الحياة، وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة (١).

وبذلك نجد أن الإلحاد ينقسم إلى قسمين هما: الإلحاد القديم، والإلحاد الحديث. فما حقيقة كل منهما وما الفرق بينهما؟

بين الإلحاد القديم والإلحاد الحديث فرقاً ظاهراً، وذلك يتبين من خلال ما يأتي:

١- إن الإلحاد بمعنى إنكار وجود الله تعالى أصلاً لم يكن ظاهرة منتشرة في القديم، وإنما كان شائعاً الشرك مع الله تعالى تحت حجج مختلفة، مع اعترافهم بوجود الله تعالى، وأنه الخالق المدبر، وقد أثبت الله تعالى ذلك في كتابه الكريم فقال عن إقرارهم بخلق الله للكون: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(٢) .

وقال تعالى عن إقرارهم بأن الرزق كله من الله، وأن أعضاء الإنسان هي من خلق الله، وأن الحياة والموت بيد الله، وأن التدبير كله لله: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣)،﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ

---

(١) الأستاذ / عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني : كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ص ٤٣٣ الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ـ الناشر: دار القلم، دمشق، الأستاذ / محمد بن قطب بن إبراهيم : مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٠٥ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م دار الشروق .

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣١.

لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ* قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (١)، وهكذا يتبين من تلك الآيات البينات أن الإلحاد في الزمن القديم إنما كان في إشراكهم مع الله آلهة أخرى من صنعهم، يتقربون بها إلى الله بزعمهم، وهذا هو الشرك في توحيد الربوبية الذي لا يدخل الشخص به وحده في الإسلام والإيمان ما لم يضمّ إليه توحيد الألوهية.

٢- وأما الذين أسندوا كل شيء إلى الدهر فهم قلة قليلة جداً بالنسبة لغيرهم ممن يؤمنون بالله تعالى، وقد أخبر الله عنهم في كتابه الكريم ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٢).

٣ - أما الإلحاد المادي الحديث فقد قام على إنكار وجود الله أصلاً، وقد زعم أهله أنهم وصلوا إليه عن طريق العلم والبحث المحسوس، وعن طريق التجربة والدراسة، وزعموا أن الدين لا يوصل إلى ذلك (٣).

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤-٨٩.

(٢) سورة الجاثية ، الآية :٢٤ .

(٣) د. غالب بن علي عواجي : المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ج٢ ص١٠٠٨ ـ ١٠١٠ الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني : كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة ص٤٣٣، ٤٣٥ .

ثانيا: نشأة الإلحاد:

الإلحاد في الدين والطعن فيه، ليس جديداً؛ حيث وجد منذ عصور الإسلام الأولى من يقدح فيه أو يلحد في آياته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١).

وقال جل وعلا: ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٢).

ونشأ الإلحاد الحديث مع العقلانية والشيوعية والوجودية، حيث قام بعض الملحدين بنشر الإلحاد في الأرض مستغلين محاربة الكنيسة للعلم، فجاءوا بثورة العلم ضد الكنيسة، والثورة الفرنسية (٣)،

---

(١) سورة فصلت ، الآية: ٤٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠ .

(٣) الثورة الفرنسية : قامت عام (١٧٨٩م) نتيجة لوضع الكنيسة ودينها المحرف،وتحول رجال الدين إلى طواغيت ومحترفين سياسيين ومستبدين تحت ستار الإكليروس والرهبانية والعشاء الرباني وبيع صكوك الغفران، ووقوف الكنيسة ضد العلم وهيمنتها على الفكر وتشكيلها لمحاكم التفتيش ، واتهام العلماء بالهرطقة، ووقوفها ضد مطالب الناس، نتيجة لهذا الصراع بين الكنيسة من جهة وبين الحركة الجديدة من جهة أخرى، كانت ولادة الحكومة الفرنسية سنة ١٧٨٩م وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب. وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم ، وتحولت الثورة من ثورة على مظالم رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه./ د. مانع بن حماد الجهني ، وآخرون: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب

والداروينة(١)،

والأحزاب المعاصرة ج٢ ص٦٧٩ الطبعة الرابعة ١٤٢٠ هـ ــ الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي : العلمانية وموقف الإسلام منها ص٣٥٢ الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ــ العدد ١١٥ ـ السنة ٣٤ ـ١٤٢٢ هـ.

(١) نظرية داروين : في سنة ١٨٥٩م نشر الباحث الإنجليزي "تشارلز داروين" كتابه "أصل الأنواع"الذي يركز على قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب، وتزعم نظرية دارون أنّ أصل المخلوقات حيوان صغير، نشأ من الماء، ثم أخذت البيئة تفرض عليه من التغييرات في تكوينه ممّا أدّى إلى نشوء صفات جديدة في هذا الكائن، أخذت هذه الصفات المكتسبة تورث في الأبناء حتى تحولت مجموع هذه الصفات الصغيرة الناشئة من البيئة عبر ملايين السنين إلى نشوء صفات كثيرة راقية جعلت ذلك المخلوق البدائي مخلوقاً أرقى، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات، والقرد مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها.

وعمل كثيرون على نشر هذه النظرية بحسن نية، لظنّهم أنّها حقيقة علمية، وعمل آخرون على نشرها بسوء نية، لأنّها وافقت أهواءهم، فهي تكذب بالأديان التي وصفت خلق الإنسان، وبذلك يجد الطاعنون في الدِّين دليلاً من العلم يرتكزون عليه، ويدلِّسون على النَّاس به، وأدت هذه النظرية إلى انهيار العقيدة الدينية ونشر الإلحاد .

أساس النظرية:

١- تعتمد النظرية على أساس ما شوهد في زمن ((دارون)) من الحفريات الأرضية، فقد وجدوا أنّ الطبقات القديمة تحتوي على كائنات أولية، وأنّ الطبقات التي تليها تحتوي على كائنات أرقى فأرقى. فقال ((دارون)) :"إنّ تلك الحيوانات الراقية قد جاءت نتيجة للنشوء والارتقاء من الحيوانات والكائنات الأولى ".

٢- وتعتمد أيضاً على ما كان معروفاً في زمن ((دارون)) من تشابه جميع أجنّة الحيوانات في أدوارها الأولى، فهو يوحي بأنّ أصل الكائنات واحد، كما أنّ الجنين واحد، وحدث التطور على الأرض كما يحدث في أرحام الكائنات الحيّة.

٣- كما تعتمد النظرية على وجود الزائدة الدودية في الإنسان التي هي المساعد في هضم النباتات، وليس لها الآن عمل في الإنسان مما يوحي بأنّها أثر بقي من القرود لم يتطور؛ لأنها تقوم بدورها في حياة القرود.

وهذه النظرية أدت إلى انهيار العقيدة الدينية، ونشر الإلحاد في أوروبا، وقد استغلها اليهود استغلالاً بشعاً.

والنظرية في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة، كما أنها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة .

والنظرية الداروينية باطلة بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وباطلة بجميع الكتب السماوية، وباطلة بإجماع المسلمين في كل زمان ومكان، وباطلة بالعقل الصحيح، وبالفطرة السليمة من الشذوذ والانحراف.

فبنو آدم وجميع الحيوانات والطيور، وجميع مافي البراري والبحار، من آلاف السنين وهي على ما هي عليه لم تتغير أشكالها ولا أسماؤها.

ومذهب دارون باطل؛ لعدم مشاهدة أي ارتقاء من أي نوع من مخلوقات الله، فمن الذي عاش آلاف السنين حتى شاهد تغير الإنسان من خلية إلى حشرة إلى حيوان إلى قرد كما يزعم داروين، وهو الذي لم يعش سوى أقل من ٧٥ سنة.

قال تعالى: {مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً} [سورة الكهف، الآية: ٥١] ..

والنظرية باطلة بقوله تعالى: {وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [سورة البقرة، الآية :٣٦]. فالله تعالى إنما

والفرودية(١)، وبهذه الدعوات الهدامة للدين والأخلاق تفشي الإلحاد في الغرب، والهدف الأعظم للملحدين هو محاربة وتشويش كل دين على

أهبط من الجنة أدمياً يعقل ولم يهبط حشرة ثم صارت حيواناً لا يعقل ثم صار قرداً.

والداروينيون الملاحدة يقولون على الله بغير علم، قال تعالى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً} [سورة النجم، الآية: ٢٨]. وهم يجادلون بالباطل، قال تعالى: {وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوا}[سورة الكهف، الآية ٥٦:] إلى غير ذلك من الأدلة التي تنسف خرافة النظرية الداروينية./ عمر ابن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي : العقيدة في الله ص ٨٣ ، ٨٤ الطبعة الثانية عشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ، د. مانع بن حماد الجهني ، وآخرون : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج٢ ص٦٨٠ ، ٦٨١ ، د/ غالب بن علي عواجي: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ج٢ ص١٠٨٩ الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ج٤٤ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

(١) استمد فرويد من نظرية داروين حيوانية الإنسان ، فالإنسان عنده حيوان جنسي، لا يملك إلا الانصياع لأوامر الغريزة وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب ، فاعتمد فرويد الدافع الجنسي مفسراً لكل الظواهر، والإنسان في نظره حيوان جنسي.

وتلقت نظرية فرويد الدعم الكبير من اليهود حتى جعلوها من أهم الأسس التي تقوم عليها سياستهم وفكرهم الخاص، فقد ورد في بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه ((يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا.. إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس

الأرض، ومن الأفكار والمعتقدات التي بثها الملحدين لإضلال الناس هي ما يلي:

١ – إنكار وجود الله سبحانه وتعالى.

٢ – أن الكون والحيوان والإنسان والنبات وجد صدفة وسينتهي كما بدأ، ولا توجد حياة بعد الموت.

٣ – أن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

٤ – إنكار معجزات الأنبياء.

٥ – ينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل.

لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه)) ([١٣٩]) .

أما أبرز آثارها في الفكر الحديث فهي:

١ - الشك في العقل، وقد كان ذلك نتيجة لنظرة فرويد إلى العقل، فهو خادم للغريزة، وليس هادياً إلى الحقيقة كما يُعتقد، ووظيفته ليس الحدس بالحقيقة، بل الإقناع بما نعتقده غريزياً، ولهذا فنتائجه لا يمكن الوثوق بها ،لأنها تبرير لمتعقداتنا فهو أداة ضعيفة في مجال المعرفة.

٢ - التمرد على السلطة: فقد كشف فرويد وإدلر إلى أن نزعة التسلط على الآخرين من أهم دوافع اللاشعور، وهذه الرغبة يحدث لها نوع من التسامي في الحق الإلهي للملوك أو في سلطة رجال الدين، أو في سلطة القانون، وليست هذه الصور إلا قناعاً للرغبة في فرض السيطرة على العقول ينشأ الشك فيها والتمرد عليها. ./ د. مانع بن حماد الجهني، وآخرون : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج٢ ص٦٨١، ص٩٢٨، عبد الرحمن حَبَنَّكَة: كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة ص٢٩٣ ، ٢٩٦ .

٦ – المعرفة الدينية في رأي الملاحدة تختلف اختلافاً جذرياً وكلياً عن المعرفة بمعناها العقلي والعلمي!!

٧ – الإنسان مادة وتنطبق عليه قوانين الطبيعة.

٨ – الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.

وقد كان ظهور الإلحاد واستعلان الملحدين بمقالاتهم يسير عكساً مع إيقاع العقوبة بهم، فحيث أعملت العقوبة انزوى هؤلاء وخنسوا واستخفَوا بعقائدهم، وحيث أمنوا العقوبة ظهروا وأعلنوا الكفر البواح والطعن في الدين وجهروا به .

وما زال الأمر يسير على هذا المنوال عبر العصور حتى يومنا هذا، والمتابع لما يدور على الساحة في بلادنا، يلحظ في العقد الأخير كثرة ظهور هؤلاء، وكثرة ما يصرحون به من كفر صريح ما كانوا يجرؤون على إعلانه إذا أعملت العقوبة .

وقد ساعد على هذا التصريح عاملان رئيسان:

أولهما: انتشار وسائل الاتصال والتواصل الحديثة التي وفرتها الشبكة العنكبوتية.

ثانيهما: عدم التصدي الحازم لمن يتطاول ويتعدى، والأمر كما قيل: من أمن العقوبة أساء الأدب (١).

---

(١) د. مانع الجهني : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج٢ ص٨٠٥ ،٨٠٦ ، محمد بن قطب ابن إبراهيم : مذاهب فكرية معاصرة ج١ ص٦٠٥ ، د. غالب بن علي عواجي : المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ج٢ ص٦٨٤ ، ١٠٠٣وما بعدها .

ثالثاً: أسباب الإلحاد، وانتشاره:

للإلحاد مهيئات منها:

١ ـ أن ينشأ الشخص في بيت خال من آداب الإسلام ومباديء هدايته، فلا يرى فيمن يقوم على أمر تربيته من نحو أب أو وأم أو أخ، استقامة، ولا يتلقى عنه ما يطبعه على حب الدين، ويجعله على بصيرة من حكمته، فأقل شبهة تمس ذهن هذا الناشيء تنحدر به في هاوية الضلال .

٢ ـ أن يتصل الفتى الضعيف النفس بملحد يكون أقوى منه نفسا، وأبرع لساناً، فيأخذه ببراعته إلى سوء العقيدة، ويفسد عليه أمر دينه .

٣ ـ أن يقرأ الناشئ مؤلفات الملحدين وقد دسوا فيها سموما من الشبه تحت ألفاظ منمقة، فتضعف نفسه أمام هذه الألفاظ المنمقة، والشبه المبهرجة، فلا يلبث أن يدخل في زمرة الملاحدة الأعداء.

٤ ـ أن تغلب الشهوات على نفس الرجل، فتريه أن المصلحة في إباحتها، وأن تحريم الشارع لها خال من كل حكمة، فيخرج من هذا الباب إلى إباحية وجحود (١).

فلا حلال ولا حرام في ظلال مملكة الإلحاد، ولا رقيب ولاحساب ولا جزاء، ولا وجود لما يسمى باللسان المعاصر: " تأنيب الضمير "، أي النفس اللَّوامة التي تضرب المسلم بسياط الندم على اقتراف القبائح .

(١) الإمام محمد الخضر حسين : الإلحاد أسبابه ، طبائعة ، مفاسده، أسباب ظهوره ، علاجه ص ٨ ، ٩ طبعة ١٤٠٦ هـ مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، تقديم وتعليق : محمد إبراهيم الشيباني .

ولذا فإن كثيراً ممن يميل إلى الإلحاد دافعهم الشهوة لا غير، والأمر كما قال أهل العلم: " الشهوة صابون الشبهة "، أي هي التي تسهل مرور الشبهة إلى النفوس .

٥ ـ وقوع مشكلات وتناقضات في نظر الملحد ـ لا سيما الشاب ـ تجاه الدين، وهذا السبب مفهوم بالنسبة لغير المسلمين، أما بالنسبة للمسلمين: فإنه راجع في الغالب إلى خرافات تقع من أهل البدع، فتُنسب زوراً إلى الإسلام .

٦ ـ الجهل بدين الإسلام ومحاسنه، إذ لو أقبل هؤلاء على هذا الدين لكفاهم عن كل نظرية وعن كل فكر وعن كل فلسفة، ولكنهم كما قال الشاعر:

كالعيس فِي الْبَيْدَاء يَقْتُلهَا الظَّما والماءُ فَوق ظُهُورهَا مَحْمُول (١).

٧ ـ وهو الأهم، وهو السبب الراجع إلى الملحد نفسه، فما ألحد أحد ونكص على عقبيه إلا وقد أُتي من قبل كِبر في نفسه، فإن الله جل وعلا يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾(٢).

وقد أدى هذا الكبر إلى ثمرات، منها:

أولاً:أن يكذب بدين الله، قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾(٣).

---

(١) أحمد بن إبراهيم الهاشمي : السحر الحلال في الحكم والأمثال ص٩٦ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

(٢) سورة غافر ، من الآية: ٥٦ .

(٣) سورة يونس ، من الآية : ٣٩ .

ثانياً: الإعراض ورفض الاستماع للحق، قال سبحانه: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾(١).

ثالثاً: الفرح بما عنده من علوم كاسدة يعارض بها شرع الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾(٢).

رابعاً: تقليد أئمة الضلال، قال جل وعلا: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾(٣).

وأخيراً: الثمرة النهائية وهي الزيغ، قال عزَّ شأنه ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٤). (٥).

أسباب انتشار الإلحاد:

إن المتأمل في أسباب انتشار الإلحاد في كثير من بلدان العالم يجد أن من تلك الأسباب ما يعود إلى المجتمع الذي عاش فيه، أو ما يعود إلى شخصيات مؤسسيها المنحرفة، وسأذكر فيما يلي بعضا من هذه الأسباب:

---

(١) سورة يس ، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة غافر ، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٢٣.

(٤) سورة الصف، من الآية : ٥ .

(٥) د/ صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي (أستاذ العقيدة المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) : الإلحاد وسائله ، وخطره ، وسبل مواجهته ص ٢٤ ، ٢٥ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠١٣ م دار اللؤلؤة ـ بيروت ، لبنان.

١ ـ اقتران الإلحاد بالقوة المادية، وذلك أن الناس رأوا أن أوروبا لم تتقدم وتمتلك القوى المادية وتكتشف أسرار الحياة إلا بعد أن تركت أفكار الكنيسة.

٢ ـ ما وصل إليه الملاحدة من اكتشافات علمية هائلة مكَّنهم الله منها استدراجاً لهم، وإقامة للحجة عليهم، على ضوء قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١)، فكلما تَمَّ لهم اكتشاف جديد فسّروه على أنه من بركة تركهم للإله وللدين، وانطلاقهم أحراراً من ذلك، فاغترَّ بهم كثير من الجهال وظنوا أن ذلك صحيحاً، وأن هذه الحياة التي يعيشها العالم اليوم من تقدّم مادي وصناعات مختلفة وانفتاح تام على الشهوات والمتع المختلفة إنما هي دليل في نظر من لا يعرفون الدين الصحيح على أن الإنسان هو مالك هذا الكون وحده، وهو الذي ينظِّم حياته كما يريد.

٣ـ أن بعض تلك الأسباب يعود إلى أمور سياسية كحبّ اليهود السيطرة على العالم، فالملحدين ماهم إلّا سماسرة اليهودية العالمية، وأنهم يهدفون إلى استغباء العالم ومحو أخلاق الجوييم ـ غير اليهود من الأمم ـ وتحطيم حضاراتهم وإبطال دياناتهم.

٤ ـ الرغبة الجامحة عند البعض في الانفلات التام عن الدين وأوامره ونواهيه؛ لتحقيق رغباته الشهوانية المختلفة(٢).

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣

(٢) الإمام محمد الخضر حسين : الإلحاد أسبابه ، طبائعة ، مفاسده، أسباب ظهوره ، علاجه ص ٨ ، ٩ ، د/ عبد الرحمن عبد الخالق : الإلحاد أسباب الظاهرة وطرق العلاج ص٨ ــ ١٤ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ــ الرياض ،

وبالنسبة لانتشار الإلحاد بين المسلمين:

١- الحياة الجديدة ومباهجها كانت سببا في انتشار عقائد الإلحاد والزندقة، فقد استجد في هذا العصر انفتاح العالم الفضائي بشقيه- القنوات والإنترنت- وما يُبث فيهما من شهوات وشبهات تأخذ كل واحدة منهما بنصيبها من شبابنا مع عدم وجود حملة تحصين مضادة لآثارها.

فقد ساهمت مواقع الإنترنت والمنتديات، ومواقع التواصل الاجتماعي على بث أفكار التشكيك والإلحاد بين الشباب بلا حسيب أو رقيب، عن طريق بث الشبهات حول القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومسائل القضاء والقدر، والطعن في بعض أحكام الشريعة، فوافق كل ذلك قلوباً خاوية، أو ضعيفة الإيمان فتمكنت منها.

بالإضافة إلى القنوات الفضائية التي تنشر الشهوات، مما يضعف الوازع الديني لدى المرء، ويكون أكثر عرضة لقبول ما يخالف تعاليم الإسلام من معتقدات أو أفكار(١).

المملكة العربية السعودية ، محمد بن قطب بن إبراهيم : مذاهب فكرية معاصرة ج١ ص٦٠٥ ، د. غالب عواجي : المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ج٢ ص٦٨٤ ، ١٠٠٣وما بعدها ، د. مانع الجهني : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج٢ ص٨٠٥ ،٨٠٦ .

(١) د/ غالب عواجي : المذاهب الفكرية المعاصرة ج٢ ص١٠١١ــ ١٠١٦، د/ عبد الرحمن عبد الخالق : الإلحاد أسباب الظاهرة وطرق العلاج ص٨ وما بعدها ، عبد الرحمن حَبَنَّكَة: كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة ص٤٣٦ ـ ٤٣٩ ، ٤٦٧.

٢- الفراغ: الفراغ الذي يعاني منه كثير من شبابنا مشكلة كبيرة، وقديماً قيل: نفسك إن لم تشغلها بطاعة شغلتك بمعصية، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ » (١)**، فإذا لم يتم احتواء طاقات الشباب وتوجيهها التوجيه النافع فلا يؤمن على صاحبها أن يوجهها فيما يضر.**

٣- حب التقليد: هذا يوجد عند كثير من الناس على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم، لكنه يكثر عند الشباب والمراهقين من الجنسين، وكما يكون التقليد في السلوكيات والأمور المظهرية؛ كنوع اللباس والطعام وطريقة المشي..، فإنه يكون كذلك في الأفكار ؛ حيث تنتشر بعض الأفكار بين الشباب لا عن قناعة بها ولكن تقليداً لغيرهم، فقد توجد موجة فكرية في الغرب أو الشرق فيتبناها بعض شبابنا من باب التقليد لا أكثر، أو قد يكون التقليد لشخصية مشهورة، أو لزميل انزلقت رجله في هذه الهاوية.

مع الأخذ في الاعتبار ما يروج له الملحدون أو المشككون في الأديان من كون مذهبهم هو الموافق للعقل، وأن الأديان على اختلافها -ومنها الإسلام- لا تستطيع أن تجيب على أسئلتهم؛ فلهذا ألحدوا ؛ فيخيل لمن يقلدهم من الشباب أنهم يرتقون ويصعدون في مجال الفكر لا العكس.

٤- أخطاء بعض المتدينين: يصعب على كثير من الناس التفريق بين الدعوة والداعية، والفكرة ومعتنقها، فهم يجعلون تصرفات الناس حاكمة على أفكارهم ومعتقداتهم بالصحة أو البطلان، ولا ينجو من هذا الخلط الخاطئ إلا من رحم الله.

---

(١) صحيح البخاري ـ ٨١ - كِتَابُ الرِّقَاقِ ـــ بَابٌ: لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ ـ رقم ٦٤١٢ ج٨ ص٨٨ .

ومن هذه الأخطاء: ما قد يصدر من انحرافات سلوكية أو أخلاقية من بعض المتدينين، وقد يكون لبعضهم مكانته في المجتمع، فيكون هذا سبباً في صد بعض الناس عن الدين، ويكون منفذاً لدعاة الإلحاد ومثيري الشُبه، لا سيما مع تركيز الإعلام على هذه الأخطاء وتضخيمها والمبالغة في بيان عوارها.

٥- أعمال التفجير والتكفير: بينما يجد الشباب عند الملحدين الدعوة للحفاظ على الروح الإنسانية والكرامة والتسامح، وإن كانت دعوى نظرية يكذبها الواقع، يجدون عند بعض المنتمين للإسلام اندفاعاً في اتجاه العنف والقتل والتفجير وإسالة الدماء واستباحة إزهاق الأرواح، ومثل هذه الأحداث التي تحصل في كثير من بقاع الأرض تعطي دعاة الإلحاد فرصة عظيمة للدعاية ضد الإسلام بحجة أنه دين دموي يشجع على مثل هذه الأعمال ويحض عليها، ولن يعدم هؤلاء أن يأتوا باستشهادات أصحاب التكفير والتفجير من الكتاب والسنة ليخدموا غرضهم، مما يجعل البعض يقتنع بدعاوى الإنسانية ويماشيهم ويقبل منهم، ثم لا يلبث إلا قليلاً حتى يقع في شبك الشبهات التي إن لم تنقله للإلحاد الصريح جعلته لا دينياً أو متشكِّكاً لا أدَرِيًّا .

٦ ـ استغلال أعداء الإسلام في الداخل والخارج الأوضاع الاقتصادية المضطربة، والضغائن الناتجة عنها في المجتمع المسلم، وأعظم ثغرة يتسللون منها هي وجود الشحناء والبغضاء والحسد بين طبقات المجتمع نتيجة للإخلال بالنظام الاقتصادي، والتهاون في إيصال الحقوق إلى أهلها، وعدم العدل بين الناس فيها، فيَعِدُون الفقراء الكادحين بالعدل الذي

فقدوه، أو الحق الذي سلب منهم، فينخدعون بهم، ويناصرونهم على ذلك، مع جهلهم بحقيقة ما يدعون إليه من الإلحاد (١).

ومما يجب أن يعلم أن هدف القوم ليس نشر مذهب معين يتبنونه بقدر ما هو سلخ المسلمين عن دينهم ولو إلى لا شيء، بحيث يبقى المرء كالمعلق في الهواء، لذا نجد أن المدخل دوماً يكون عبر بذر بذور الشك في النفوس، الشك في كل الموروث الديني والقيمي والثقافي (٢).

رابعاً: آثار الإلحاد في حياة الإنسان .

ترك الإلحاد المعاصر آثاره الواضحة في سلوك الإنسان وفي أخلاق الأمم ونظام الاجتماع، ونستطيع أن نجمل هذه الآثار فيما يلي:

١ ـ القلق والصراع النفسي:

إن أول الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي، وذلك أن داخل الإنسان منا فطرة تلح عليه، وأسئلة تتلجلج في صدره: لماذا خلقنا ؟ ومن خلقنا ؟ وإلى أين نسير ؟ وإذا كانت زحمة الحياة، وشغلها الشاغل يصرف الإنسان أحيانا عن الإمعان في جواب هذه الأسئلة، والبحث عن سر الحياة والكون، فإن الإنسان يصدم كثيرا بمواقف وهزات تحمله حملا على التفكير في هذا

---

(١) د. غالب عواجي : المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ج٢ ص١٠١٢ــ ١٠١٦.

(٢) عبد الرحمن حَبَنَّكَة : صراع مع الملاحدة حتى العظم ص ٢٧ وما بعدها ـ الطبعة: الخامسة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ـ الناشر: دار القلم، دمشق.، د. مانع الجهني : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ج٢ ص٨٠٦ ، ٨٠٧ ، د/ عبد الرحمن عبد الخالق : الإلحاد أسباب الظاهرة وطرق علاجها ص٨ ـ ١٧ .

السؤال، فالأمراض والكوارث، وفقد بعض الأهل والأحبة، والمصائب التي تصيب الإنسان تفرض عليه أن يفكر في مصيره ومستقبله، ولما كان الإلحاد عقيدة جهلانية، لأنه يقوم على افتراض عدم وجود إله، فإنه لا يقدم شيئاً يخرج هذا الإنسان من الحيرة والقلق والإلتباس ويبقى لغز الحياة محيرا للإنسان ويبقى رؤية الظلم والمصاعب التي يلاقيها البشر في حياتهم كابوسا يخيم على النفس ويظل الإلحاد عاجزا عن فهم غاية الحياة والكون، ولا يقدم للإنسان إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلا ولا تشفي غليلا، ومع إلحاح نداء الفطرة الداخلي وتردد الأسئلة الخالدة في النفس يظل الإنسان قلقا معذبا .

٢ ـ الأنانية والفردية:

كانت النتيجة الحتمية للقلق النفسي والخوف من الأيام هي اتجاه الإنسان نحو الفردية والأنانية ونعني بالأنانية اتجاه الإنسان لخدمة مصالحه الخاصة وعدم التفكير في الآخرين، فالدين الذي يحث الإنسان على بذل المعروف للغير والإحسان للناس ابتغاء مرضاة الله بانحساره عن حياة الإنسان حل مكانه التفكير في النفس فقط، وبذلك بدأ الناس في عصور الإلحاد المظلمة هذه لا يأبهون بغيرهم من بني البشر وشيئا فشيئا قلت العناية بالفقراء والمحتاجين ثم بالأهل والأقربين ثم بالوالدين وأيضا بالزوجة والأولاد، والمطلع على أحوال المجتمع الإلحادي في الغرب والشرق يري إلى أي حد أصبح الناس ماديين أنانيين لا يهتم الفرد إلا بنفسه، ولا يهتم بالآخرين إلا بقدر ما يعود هذا على نفسه من منافع، وقد ضاعف الأنانية والمادية اتجاه الناس نحو العبّ من الملذات والشهوات التي يسرتها الحضارة الحديثة وأباحتها قوانين الإلحاد التي تكفر بالأخرة وتجعل حياة الإنسان الخاصة ملكا له، فانطلق الناس لذلك نحو شهوات

أنفسهم يستزيدون منها بقدر طاقتهم وجهودهم وأهملوا في سبيل ذلك العطف والإحسان والعناية بالآخرين .

وبذلك نشأ الإنسان المادي النفعي المعاصر الذي أصبح علما ورمزاً للحضارة الأوربية الإلحادية التي تغزو العالم الآن .

٣ ـ فقد الوازع والنزوع إلى الإجرام:

لأن الإلحاد لا يربي الضمير، ولا يخوف الإنسان من إله قوي قادر يراقب تصرفاته وأعماله في هذه الأرض، فإن الملحد ينشأ غليظ القلب عديم الإحساس قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة . بل على العكس من ذلك فإن الإلحاد يعلم اتباعه أنهم وجدوا هكذا صدفة ولم يخلقهم خالق أو أنهم خلقوا أنفسهم وأنهم حيوانات أرضية كسائر الحيوانات التي تدب على الأرض، وبذلك يغلظ إحساسهم ويتنامى شعورهم بالحيوانية والانحطاط ويتجهون إلى إثبات ذواتهم بالإغراق في الشهوات والملذات، وإذا منعتهم ظروفهم المعاشية أو القوانين الوضعية البشرية عن بلوغ غاياتهم وأهدافهم الحيوانية، فإنهم يقومون بالتغلب على تلك الظروف وذلك إما بالحيلة والمكر، وإما بالقوة والغلبة وفي كلا الأمرين لا يجد الإنسان الملحد رادعا داخليا يردعه، لأنه لا يخاف ربا ولا يرجو حسابا، ولا يبقى أمام الملحد من وازع إلا القانون البشري أو ظروفه الواقعية، وهذه أمور يمكن التغلب عليها بصور كثيرة وخاصة في المجتمع المعاصر الذي تفنن الإنسان فيه في طرق الإجرام والتهرب من القوانين، وقد يبقى في بعض النفس التي تدين بالإلحاد شيء من نداء الفطرة ومحاسبة الضمير ولكن هذا النداء الداخلي المسمى بالضمير سرعان ما يزول ويتلاشى في زحمة الحياة الراكضة وأمام مغرياتها الكثيرة.

وهذا الأمر من أعظم آثار الإلحاد في حياة الإنسان فعالمنا المعاصر هو عالم الجريمة والخوف، فكل يوم تطالعنا وسائل الإعلام من صحف وكتب وإذاعة وغيرها بأخبار الجرائم البشعة التي بلغت من الحدة والعنف والشذوذ والتلذذ بتعذيب الأخرين وشرب دمائهم، والتمتع برؤية صراخهم واستغاثاتهم، هذا إلى حوادث السرقة والسطو والاغتصاب والقتل التي تتزايد يوما بعد يوم، ولا شك أن هذه ثمرات حتمية من ثمار الإلحاد .

٤ ـ هدم النظام الأسري:

كان للإلحاد آثار مدمرة في الحياة الاجتماعية للإنسان فالبعد عن الله سبحانه وتعالى لم يكن من آثار تدميره النفسية البشرية فقط، وإنما كان من لوازم ذلك تدمير المجتمع الإنساني وتفكيكه وذلك أن نظام الاجتماع البشري لا يكون صالحا سليما إلا إذا كانت اللبنات التي تشكل هذا النظام صالحه سليمة، وإذا فسدت هذه اللبنات فسد تبعا لذلك النظام الاجتماعي بأسره ولذلك كان من نتائج الإلحاد أيضا هدم النظام الأسري .

ومعلوم أن الأسرة هي الخلية الأولى في النظام الاجتماعي، وعندما فسدت البشرية فسدت الروابط الأسرية، فالزوج الفاسد المنحل لابد وأن يمتد فساده إلى زوجته وأولاده، والزوجة الفاسدة التي لا تراقب الله سبحانه وتعالى ولا تخافه لابد وأن ينعكس هذا على أسرتها كلها، زوجها وأولادها، وكذلك الابن الفاسد الذي لا يراعي حرمة لوالد أو والدة، ولا حقا لله سبحانه وتعالى وكذلك البنت الفاسدة وهكذا ابتدأنا نسمع في ظل الإلحاد على انهيار عقد الزواج الشرعي الشريف الذي يقصر المرأة على رجل واحد ويقيم علاقات متوازنة بين الأزواج ويوزع المسئولية في الأسرة توزيعا عادلا موافقا للفطرة البشرية التي خلق الله عليها كلا من الذكر والأنثى، وبانهيار عقد الزواج الشرعي أصبحت علاقات الأزواج علاقة

متعة ومنفعة مجردة وبذلك قلت التضحيات التي لابد منها، فالزوج المخلص الوفي لابد وأن يضحي بشيء من شهواته في سبيل أسرته، والزوجة الوفيه كذلك التي قد تضطرها ظروفها أن تعيش مع زوج فقير أو مريض وأن تكافح لخدمة زوجها وتربية أولادها، ولكن في ظل العقيدة الإلحادية التي لا تؤمن بالآخرة ولا بالجزاء، فإنه لم يبق ما يحمل الزوج أو الزوجة على التضحية والفداء .

وكذلك الحال بالنسبة للأبناء أيضا الذين يتعلمون في ظل التوحيد أن يعبدوا الله بالإحسان إلى آبائهم، وأن يجاهدوا في سبيل مرضاتهم وكفالتهم في أحوال العجز والكبر، ولكن العقيدة الإلحادية التي تقوم علي النفعية والمادية تنظر إلى خدمة الآخرين على أنه سخافة وغباء مادام أنه لا يحقق نفعا قريبا، وبهذا ماتت المشاعر الجميلة والروابط الطبيعية التي كانت تمسك بزمام الأسرة وتؤلف بين قلوب أفرادها .

ولم تقتصر الآثار السيئة للإلحاد على هذا الفساد في الأسرة، بل تعدى ذلك إلى أنواع عجيبة من الفساد ففي ظل الانهيار الخلقي والرغبة المجنونة في جني الملذات والركض وراء الشهوات الجنسية أصبح التمسك بعقد الزواج الشرعي نوعا من الغباء، وبذلك أيقن الرجال في كثير من الأحيان أن أبناءهم الذين ولدوا على فراشهم ليسوا من ظهورهم بالضرورة، وأيقن الأخوة كذلك أنهم لا ينتمون إلى أب واحد،وبذلك انهدمت مشاعر القربى والرحم التي لا يمكن أن تنشأ إلا من مجتمع نظيف طاهر، وبانهيار مشاعر القربي والرحم كالإخوة والأبوة والعمومة ونحوها انهدمت متعة عظيمة من المتع الروحية والنفسية التي لا غنى عنها للإنسان وحل مكان ذلك المتع الجسدية المادية البليدة، وبهذا تحول الإنسان شيئا فشيئا نحو الحيوانية والمادية وتفككت بذلك أيضا عروة الأرحام والقرابة بعد أن

تفككت الأسرة وقيمها الجميلة، وبهذا أضحى الطلاق وهجران البيوت والخيانة الزوجية شيئا عاديا يوميا، وأصبح الرجل يرى أصدقاء ابنته ولا يأبه لذلك بل يدفعها لهذا، وكذلك يرى صديقات ابنه ولا يأبه لذلك، لأن الناس آمنوا في ظل الإلحاد أن على كل إنسان أن يسلك السبيل الذي يريد، وأن كل إنسان مسئول عن نفسه فقط .

وبهذا انهدمت الخلية الأولى من خلايا المجتمع الإنساني .

٥ ـ تخريب المجتمعات:

الأسرة هي الخلية الأولى من البناء الاجتماعي وبفسادها لا شك يفسد النظام كله، لأن الأسرة هي المحضن الأول للإنسان وإذا فسد الإنسان فسدت اللبنات التي تكوّن هذا البناء ولا بد .

ولما كانت الأسرة تقذف إلى المجتمع كل يوم بلبنات فاسدة وتأتي هذه اللبنات الفاسدة وتأخذ مكانها في الهرم الاجتماعي الكبير، فالفرد يكون مسئولا في دائرة أو حاكما أو طبيبا أو مهندسا أو مدرسا أو عاملا ... وكل فرد من أفراد المجتمع يتعامل مع المحيطين به بالأخلاق والسلوك الذي كسبه في حياته وخاصة في مراحل نشأته الأولى في أسرته، وهكذا تظهر الأنانية والفردية وغياب مراقبة الله سبحانه وتعالى في جميع المعاملات وأنماط السلوك التي يمارسها الفرد، وتصبح العلاقات التي تحكم تصرفات الفرد في شكل هذا المجتمع علاقات المنافع المادية والمصالح الشخصية، وتختفي التضحية والفدائية والصبر والرغبة في إسعاد الأخرين ونفع الناس، وتتحول الدوائر والمؤسسات الحكومية وجميع أجهزة الدولة إلى مطايا للمآرب الشخصية، ولا يزال الناس يكتشفون في كل يوم الفساد الإداري والوظيفي واستغلال النفوذ، وأخذ الرشوة والتحايل على القوانين والتلاعب بأموال الدولة .

إن المجتمع الحديث في ظل الإلحاد أصبح شبيها بمجتمع الغابة الذي يحاول كل حيوان فيه أن يفترس الآخر وبهذا يلجأ الضعيف إلى التخفي والخداع والنفاق، ويلجأ القوي إلى البطش والقسوة والعنف.

والذين يطالعون أحوال المجتمع الغربي الآن يرون إلى أي حد أصبحت الجريمة عملا يوميا، وسلوكا منظما متطورا فبالرغم من توفر الزنا والرذيلة ينتشر الاغتصاب للنساء بصورة مذهلة، وبالرغم من توفر الفرص للعمل والانتاج نجد السطو والسرقات المسلحة التي يمارسها الناس على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم ولا يكاد يمر يوم واحد إلا وتقع في كل مدينة عشرات بل مئات من حوادث القتل والاجرام .

وهكذا في ظل الإلحاد وعدم مراقبة الله سبحانه وتعالى وتذكر الآخرة تتحول المجتمعات إلى مستنقع آسن للرذيلة والفجور، وتصبح الجريمة عملا يوميا ويصبح التحايل على القانون واستغلال النفوذ وظلم القادر للضعيف، ونفاق الضعيف أمام القوي خلقا ودينا ومنهجا جديدا تسير عليه المجتمعات المنحلة البعيدة عن الله سبحانه وتعالى .

٦ ـ لعل أعظم آثار الإلحاد هو آثاره في السياسة العالمية، ونظام العلاقات بين الدول، وذلك أن الأخلاق المادية الإلحادية التي جعلت قلب الإنسان يمتلئ بالقسوة والأنانية دفعت الإنسان إلى تطبيق هذه القسوة والأنانية في مجال علاقات السياسة العالمية أيضا، ولذلك رأينا الدول الاستعمارية الكبرى تلجأ إلى وسائل خسيسة جدا في استعباد الشعوب الضعيفة والحصول على خيراتها ونهب ثرواتها .

وبلادنا الإسلامية بوجه عام والعربية بوجه خاص هي أشقى البلاد الضعيفة بهذه السياسات المادية الإلحادية فهي تقع دائما تحت التهديد بالقهر والتدخل العسكري كلما حاولت دولنا الإسلامية أن تحصل على

شيء من حقوقها الضائعة أو أموالها المنهوبة، بل كلما فكرت دولنا في تطبيق الإسلام والرجوع إلى أحكامه وتشريعاته النظيفة الطاهرة، نرى الدول الاستعمارية الكبرى تتنادي لقتل عودتنا نحو الإسلام متهمة هذا الدين بأنه رجعية تارة، وأنه وحشية تارة أخرى، وأنه يضطهد الأديان الأخرى والأقليات تارة ثالثة .

وهكذا يصطلي العالم الآن بنار المادية والأنانية العالمية التي تمارسها الدول الاستعمارية الكبرى التي تقوم الآن على استعباد الشعوب ونهب خيراتها وإيقاعها فرائس للقلق والخوف والفوضى والاختلاف حتى يسهل عليهم استلاب خيراتها وسرقة ثرواتها .

ولو كان الإيمان والتوحيد وخوف الله هو المسيطر على أخلاق الذين يملكون سياسة الدول لعمت الرحمة والإحسان بين الشعوب، وكانت نصرة الضعفاء وإعانة المساكين ورفع الظلم عن المظلومين هو الدين والمنهج الذي تسير عليه السياسات العالمية .

وهكذا استطاع الإلحاد والبعد عن الله سبحانه وتعالى أن يحول المجتمع الإنساني كله إلى مجتمع بغيض يقوم على الظلم والقهر والنهب والخوف الدائم من الدمار والخراب، وهذا بدورة يؤدي إلى تدمير نفس الإنسان المعاصر وهروبه الدائم من واقعه، ولذلك انتشرت المخدرات والمهدآت والإغراق الجنسي، وكذلك دفعت هذه السياسات العالمية الفرد إلى مزيد من الأنانية وحب الذات والحرص على المال بكل سبيل، وطلب النجاة لنفسه فحسب، والعيش ليومه فقط، وهكذا خلق الإلحاد الدوامة المعاصرة

التي تلف الإنسان في عصره الراهن عصر القلق والأنانية والإجرام والفوضى (١).

خامساً: كيفية مواجهة الإلحاد:

بعد أن عرفنا أسباب الإلحاد وآثاره المدمرة في نفس الإنسان، ومجتمعه، وفي العلاقات السياسية العالمية نأتي الآن إلى كيفية مواجهة هذا التيار المدمر لشباب الأمة وللمجتمع، الموجب لغضب الله عز وجل وسخطه في الدنيا والآخرة، وهذه المواجهة تستلزم تضافر جهود كل المعنيين بهذا الأمر، بدءاً من الأسرة، مروراً بأهل الحي الواحد، فالمسجد، فالمدرسة، فالجامعة، إلى كافة الهيئات والجمعيات الدعوية، إلى خطباء المساجد والدعاة وأهل العلم وطلبته، انتهاء بأجهزة الدولة المعنية على مختلف المستويات.

وهذه المواجهة تكون بطريقين متوازيين:

الأولى: وقائية لحماية الشباب.. وغيرهم من التأثر بحملات التغريب والتشكيك في الدين.

والثانية: علاجية، وتتعامل مع الحالات التي ظهرت، والبؤر المحتملة لظهور المزيد منها (٢).

أما سبل الوقاية: فإنها تهدف إلى بذل الأسباب التي تحول بتوفيق الله بين الشباب المسلم وبين الوقوع في براثن الإلحاد، ومنها:

---

(١) عبد الرحمن عبد الخالق : الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ص١٨ ـ ٣١ .

(٢) د/ صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي : الإلحاد وسائله ، وخطره ، وسبل مواجهته ص ٦٨ .

أولاً: غرس العقيدة الصحيحة في النفوس بكل وسيلة، كالدروس، والمحاضرات، والخطب، والبرامج، والمناهج وكل طريق، لاسيما الأصول التي يؤدي الرسوخ فيها - بتوفيق الله - إلى تفكيك الفكر الإلحادي، كالإيمان بالغيب، والإيمان بالقدر، واعتقاد الحكمة في أفعال الله، وتعظيم النصوص الشرعية، مع بيان حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر وخطره، والعلاقة بين العقل والنقل .

كما يجب أيضاً أن تُعاد الهيبة إلى المواد الشرعية في المناهج التعليمية، وأن يُربَّى الطلاب على أنها الأصل والأعظم والأجدر بالاهتمام في هذه الحياة، وأن تكون لها الصدارة في عدد الحصص، وفي أوقاتها، وفي الدرجات، ولا يكون هذا للمواد العلمية التجريبية على حساب المواد الشرعية .

ثانياً: تقوية الشعور بالاستعلاء الإيماني والنعمة الإيمانية، واليقين بأن الله مع المؤمنين، يكلأهم برعايته، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ثم منقلبهم في الآخرة إلى جنات النعيم، حيث غاية لذتهم رؤية البر الرحيم سبحانه .

ثالثاً: الترشيد الثقافي، بملاحظة مصادر التلقي التي يستقي منها الشباب أفكارهم، فيُلاحَظون فيما يقرأون، وفيما يتابعون من مواقع، فإن من أعظم الأخطار أن يسمح للناشئ أن يبحر في الشبكة كيف شاء دون رقيب أو حسيب .

ولن نصل إلى تحقيق الطمأنينة والأمن لأبنائنا إلا إذا وصلت العلاقة بين الابن وأبيه والأخ وأخيه والمعلم وتلميذه إلى مرحلة الصداقة، بحيث يكون الصدر المفتوح أمامه لبيثه الشُبه التي تعرض له والأسئلة التي تحيره، بدل أن يبحث عن أجوبتها في جحور الحيات والعقارب .

رابعاً: تأصيل المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات، بالنأي عنها، والسعي في كشفها .

وهذا من الأمر المهم الذي ينبغي أن نُعني بغرسه في نفوس الناشئة، وهو أن الشبهة داء، ولا ينبغي التعرض للداء، والسلامة لا يعدلها شيء، ومنع المباديء أولى من قطع التمادي .

والشُبهة فتنة، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر أن الفتن من استشرف لها استشرفت له، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ:« سَتَكُونُ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ، بَكْمَاءُ، عَمْيَاءُ، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ، وَإِشْرَافُ اللِّسَانِ فِيهَا كَوُقُوعِ السَّيْفِ» (١).

وعليه فيجب أن يُقتنع الناشئة ـ وغيرهم ـ بأن لا يرخوا أسماعهم لمن يبث في نفوسهم الشُبه، فإن الشُبه خطَّافة، والقلوب ضعيفة، فالاستماع للشبهة إذن مغامرة غير محسوبة العواقب، وكم من إنسان ظن في نفسه القوة والعلم فوّلج إلى موقع أو استمع إلى مُلبِّس فأوقع في صدره شبهة لم تخرج منه، بل صرعته وفعلت به الأفاعيل .

ثم إنه إذا ابتلي بها ـ عن غير تنقير عنها ـ فعليه أن يلجأ إلى الله في أن يعافيه منها، وأن يراجع ـ على عجل ـ أهل العلم لكشفها، والالتزام بالوصايا النبوية العظيمة الواردة في هذا الباب، ومنها:

الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى، فإن الإلحاد ليس قضية علمية ثابتة، وإنما هو مجموعة وساوس، والوساوس إنما تنفذ من خلال الشيطان، عن

---

(١) أخرجه أبو داود في " السنن " ٣٤ كتاب الفتن والملاحم ـ باب في كف اللسان ـ رقم (٤٢٦٤) ج٤ ص١٠٢ ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .قال الشيخ الألباني : ضعيف .

الحارث الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ... كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ » (١).

وينبغي العمل بما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: « لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ » (٢).

وقد جمع أهل العلم خلاصة ما جاء في الوصايا النبوية لمن ابتلى بهذه الوساوس التي تصل إلى شكه في ربه جل جلاله، وهي خمس، فينبغي أن يعلمها ناشئة المسلمين:

١ ـ أن يقول العبد: آمنت بالله ورسله .

٢ ـ أن يقول: الله أحد الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

٣ ـ أن يتفل عن يساره بعد هذا القول ثلاثاً .

٤ ـ أن يستعذ بالله من الشيطان .

---

(١) سنن الترمذي ـ أَبْوَابُ الْأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ برقم ٢٨٦٣ ج٥ ١٤٨ ، ١٤٩ الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، محمد فؤاد عبد الباقي . قال الشيخ الألباني : صحيح .

(٢) صحيح مسلم ١ - كِتَابُ الْإِيمَانَ ـ ٦٠ - بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا ـ رقم ٢١٢ - (١٣٤) ج١ ص ١١٩ طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٥ ـ أن ينتهي عن هذه الوساوس، فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قال ـ وقوله الحق: (فَلْيَقْرَأْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ) (١).(٢).

خامساً: إقامة حكم الله عز وجل فيمن وقع في هذا الكفر الغليظ، وبهذا يرتدع الآخرون كما قال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: (ربما يَزَع السلطانُ الناسَ أشدَّ مما يزعُهُم القرآنُ) (٣)، هذه وسائل للوقاية .

الطريقة الثانية: علاجية، وتكون بمواجهة هذا الفكر الهدام، بعلاج من وقع ـ بالفعل ـ في حمأة الإلحاد، والتعامل مع الحالات التي ظهرت، والبؤر المحتملة لظهور المزيد منها.

ومن وقع في حمأة الإلحاد، هو في الغالب أحد رجلين:

مسلم عرضت له شبهة إلحادية فوقع في شك، غير أنه لا يدعو إليه، ولا يسخر من الشريعة.

وعلاج هذا بالمناصحة الإيمانية والعقلية، وأن يسعى حثيثاً في اجتثاث هذا الفكر من نفسه بأسلوب هاديء حكيم، وهذا ينبغي أن يتصدى له داعية على علم، عنده باع في هذا الأمر، لا جاهل يزيد الطين بلة .

ولابد أن يستشعر هذا الداعية جانب الرحمة والشفقة بهذا المنصوح الذي اجتالته الشياطين.

---

(١) مسند الإمام أحمد ـ رقم (٢٦٢٠٣) ٢٦٧٣٣ ج٦ ص ٢٥٧ الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م ـ عالم الكتب ـ بيروت ، المحقق : السيد أبو المعاطي النوري .

(٢) د / صالح سندي : الإلحاد وسائله ، وخطره ، وسبل مواجهته ص ٦٨ ـ ٧٥ .

(٣) رواه ابن شبه في تاريخ المدينة ج٣ ص٩٨٨ .

والآخر: متمرد يدعو إلى الإلحاد، ويقيم عليه الأدلة، ويسخر من الشريعة وأهلها، فهذا يجب أن يرد عليه ولا يجوز السكوت على باطله .

هذا من حيث التأصيل العام، أما عند التفصيل فثمة ضوابط لا بد من مراعاتها:

أولا: الرد على هؤلاء الملاحدة ونقض شبهاتهم لابد أن تحكمه الحكمة ومراعاة المصلحة، وهذا موضوع يجب أن يوزن بميزان الذهب، لأن الموضوع في غاية الخطر، فتارة تكون الحكمة في الإعراض عن الشبهة وإماتتها وإخماد ذكر قائلها والبعد عن تنبيه الجاهل عليها، وتارة تكون الحكمة في التصدي والرد .

ثانياً: يجب أن يكون الرد ـ إن تحتم ـ محكماً قوياً، وإلا فإن الرد الضعيف في مادته أو الضعيف في أسلوبه يضر أكثر مما ينفع، وما أحسن ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ [فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين] (١).

ثالثاً: أن تبنى الردود على الملاحدة على قواعد أهل السنة، فإنه بالتتبع، وجد أن كثيراً من تلك الردود بنيت على قواعد كلامية وعلى أصول بدعية، كانت ضعيفة من جهة، وضرّت المسلمين في عقيدتهم من جهة أخرى .

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج٢٠ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ عام النشر ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ،ـ المحقق : عبد الرحمن بن محمد قاسم.

رابعاً: إن احتيج إلى مناظرة الملحد، ينبغي أن تكون المناظرة فردية شخصية لا عامة علنية ما أمكن ذلك، وذلك درءاً للمفسدة التي يخشى حصولها .

خامساً: من المهم في مناظرة الملحد أن يُمسك بزمام المناظرة، وأن يكون المناظِر المسلم السائل لا المسؤول، فإن هذا بالتجربة أنفع في تحقيق المصلحة .

سادساً: ينبغي ألا يتصدى لمناظرة الملاحدة إلا من أعد العدة، وأخذ للأمر أهميته، وتفطن إلى مداخل الملاحدة ومغالطاتهم التي قد يباغتون بها مناظرهم (١).

ولكن مع هذا لا يكفي الحق أن يكون حقا ليعتنقه الناس ويذعنوا له، بل لابد للحق من حجة تدافع عنه وسلطان يقوم به، وإلا فإن الباطل مهما كان زيفه فإنه ينتصر بالقوة أحيانا وزخرفة القول أحيانا أخرى،ولا يكون ذلك بالطبع إلا في غيبة الحق، أو بجهل أهل الحق بطرق الجدال والاقناع ودحض الباطل والرد على شبهات الملحدين .

وليس الدليل في كل وقت كلاما .

ولا أعنى بتاتا أن يكون دليل الحق دائما كلاما، بل الدليل قد يكون كلاما فعلا فالإسلام والتوحيد نظام عملي وعبادي واعتقادي وإثبات الحق في الإسلام لا يكون بمجرد الكلام، فيستحيل أن نعالج ظاهرة الإلحاد المعاصر إلا إذا أقمنا دليلا للرد على كل شبهة وجعلنا العالم الواقعي هو الميدان

---

(١) د / صالح سندي : الإلحاد وسائله ، وخطره ، وسبل مواجهته ص ٧٥ ـ ٧٧ .

لجهادنا وإثبات حقنا، وأما إذا أصبحت الكتب فقط والأوراق هي الميدان الذي نحارب من خلاله فإننا ولا شك نخسر المعركة .

فمن قال مثلا: إن الإسلام يعني التخلف ويحارب العلم المادي، كان الرد الطبيعي أن يمتلك المسلمون القوة وأن يتعلموا هذا العلم المادي، وبذلك تبطل الشبهة .

ومن قال: إن الإسلام لا يصلح لحياة الناس، كان الرد الصحيح هو إقامة الإسلام العلمي الواقعي .وهكذا يصبح الحق حقا والباطل باطلا .

وهكذا يكون الرد على شبهات الإلحاد كلاما في مقابل الكلام وعملا في مقابل الأعمال، فإذا أفرز الإلحاد انحرافا وانحلالا، فيجب على التوحيد أن يخلق طهراً وعفافا واستقامة.

وإذا كان الإلحاد يعني الظلم، فإن التوحيد يعني العدل، ولن نفهم العدل إلا إذا كان واقعا كما أننا لا نحس بالظلم إلا إذا كان واقعا، وإذا كان الإسلام كما نعتقد وهو كذلك هو الفلاح الحقيقي في الدنيا ولا أقول صالحا لحياة الناس فقط، هذا الإسلام يجب أن يكون واقعا مطبقا وليس قضية كلامية نصرخ بها هنا وهناك .

وهكذا إذا استطاع المسلمون أن يملكوا لكل شبهة جوابا وأن يكون الجواب كما يرى الناس لا كما يسمعون فقط استطعنا حقا أن نقضي على ظاهرة الإلحاد (١).

(١) د/ عبد الرحمن عبد الخالق : الإلحاد أسباب الظاهرة وطرق العلاج صـ٣٢ــ ٤٢ .

توصيات:

قد أوصى أحد الباحثين بطرح مجموعة من الأفكار تمكننا من التصدي لهذه الظاهرة، ومنها:

١ ـ العناية بالرسوخ العلمي الذي يناقش تفاصيل القضايا العقدية والفكرية القديمة والمعاصرة.

٢ ـ فتح المراكز المتخصصة في رصد الأفكار التي تبث في مواقع النت وكتابات الكتاب، ومعالجتها من خلال اجتماع فئات من المتخصصين في المجالات الشرعية والفكرية والعلمية.

ومن النقاط بالغة الأهمية هنا: فتح مجالات الحوار الرحب والمنفتح مع الشباب على اختلاف مستوياتهم العلمية والمهنية، وعقد مؤتمرات، وإقامة الندوات الدينية والثقافية والفكرية، وورش عمل لهذه الحوارات، واستقطاب خيرة العقول والكفاءات في شتى المجالات الكفيلة بإقناع الشباب وهدايتهم إلى طريق الصواب، وتحصينهم من كل الأفكار الباطلة الوافدة، ومراعاة أن يتم كل هذا بصورة عصرية ملفتة وجاذبة، وأن تخرج عن النمطية والأساليب القديمة.

٣ ـ تعميق الصلة مع المراكز المهتمة بجوانب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وتكميلها بأبحاث مواجهة الإلحاد.

٤ ـ وضع البرامج والمناهج العلمية التي تؤهل طلاب العلم لمقارعة هذا الفكر، ودعوة طلاب الدراسات العليا في أقسام العقيدة والدعوة إلى

مواجهة هذا الفكر الهدام من خلال أطروحات علميه دقيقة، فإن هذا الجانب لا يزال يحتاج إلى عناية وتأهيل أكثر (١).

٥- محاربة وسائل الإعلام الخبيثة، وتعزيز الرقابة والتوجيه في المجتمع.

٦- قيام الدولة بواجبها: بتطبيق الأحكام الشرعية: إن شرع الله عز وجل الكامل قد بين حكم من يجاهر بكلمة الكفر من بعد إسلامه، ويعلن ردته عن الإسلام، فقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» (٢).

وكغيره من الحدود الشرعية، فإن الغاية من شرع هذه العقوبة هي الردع عن ارتكابها في المقام الأول، ثم إذا وقعت الجريمة كان في إقامة الحد إنزالاً للعقوبة بالمخالف جزاء ما اقترفت يداه، وزجراً وردعاً أشد وأوقع لمن يمكن أن تسول له نفسه أن يأتي بهذا الجرم؛ فإقامة الحدود فيه من الزجر عن المخالفات والمنكرات والانحرافات الفكرية والاعتقادية والسلوكية ما لا يعلم مداه إلا الله؛ ولهذا يروى عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أنه قال:(إِنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ) (٣).

---

(١) د/ صالح سندي : الإلحاد : وسائله ، وخطره ، وسبل مواجهته ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) صحيح البخاري ـ بَابٌ: لاَ يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ ـ رقم ٣٠١٧ ج٤ ص٦٢ .

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ط الفكر ج٢ ص١٠ عام النشر ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م طبعة دار الفكر .

إن تطبيق هذه العقوبة لا يعد حَجْراً على ما ينادي به أهل الضلال من حرية الاعتقاد؛لأن العقوبة التي ننادي بها تطبق على من كان مسلما ثم ألحد وكشف شبهته وعرض عليه الإسلام واستمهل ولم يسلم لدفع شره .

وأما من لم يصل إلى حد الإلحاد، أو إنكار المعلوم من الدين بالضرورة، لكنه راح يبث ما يثير الشبهات ويبلبل عقائد الناس، فإنه يُعَزَّرُ بأنواع التعزيرات المختلفة الكفيلة برده وردعه وأمثاله عن مثل ذلك، عن سليمان بن يسار: أن رجلا يقال له صَبِيغٌ قدم المدينة فجعل يسأل عن مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فأرسل إليه عمر ـ رضي الله عنه ـ وقد أعد له عَرَاجِينَ النَّخْلِ،، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين، فضربه وقال: أنا عبد الله عمر « فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ،» فقال: يا أمير المؤمنين، حسبك، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي"(١).

وتطبيق عقوبة الإلحاد وغيرها لا يكون لآحاد الناس، وإنما هو للدولة بأجهزتها المعنية، وعلى كل أجهزة الرقابة التكاتف لتخليص البلاد من هذا الشر، وحماية أهلها من خطره الداهم (٢).

---

(١) سنن الدارمي ـ باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع ـ رقم ١٤٦ ج١ ص٢٥٢ ، ٢٥٣ ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م ـ الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ـ تحقيق: حسين الداراني ـ وقال المحقق : رجاله ثقات غير أنه منقطع سليمان بن يسار لم يدرك عمر بن الخطاب .

(٢) د/ صالح سندي : الإلحاد : وسائله ، وخطره ، وسبل مواجهته ص ٧٨ ، ٧٩ .

الإهداء

الفصل الأول:

كشف الشُبه الفقهية للملاحدة في العبادات في ضوء الشريعة الإسلامية، والعلم الحديث.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: كشف شبهة الملاحدة في الطهارة .

المبحث الثاني: كشف شبهة الملاحدة في الزكاة .

المبحث الثالث: كشف شبهة الملاحدة في الصيام .

المبحث الرابع: كشف شبهة الملاحدة في أن مناسك الحج بقايا وثنية صريحة.

الإهداء

المبحث الأول:

كشف شبهة الملاحدة على جعل الطهارة عبادة .

يعترض الملاحدة على جعل الطهارة عبادة، ويزعمون أنهم ينطقون بحقائق الفلسفة، ويقولون إن الطهارة والآداب يجب أن تؤتى لمنفعتها وفائدتها المترتبة عليها ؛ لا لأن الله تعالى أمر بها ويثيب على فعلها ويعاقب على تركها، ويزعمون أن الدين يحول دون هذه الفلسفة العالية التي ارتقوا إليها، ويفسد نفس الإنسان بتخويفه من العقاب، ويحجبه عن معرفة الواجب والعمل به لأنه الواجب – أي حجاب – ويحتجون على ذلك بأنهم هم وأمثالهم، ممن لا دين لهم، أنظف ثيابا وأبدانا من جمهور المتدينين، حتى المتنطعين منهم في الطهارة والموسوسين، ومن يعدهم الجمهور من الأولياء والقديسين (١).

ولكشف هذه الشبهة نقول:

أولا: الطهارة عبادة لله رب العالمين، لقول رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ..» (٢)، ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ »(٣).

---

(١) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ج٦ ص٢١٨ ، ٢١٩ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سنة النشر: ١٩٩٠م .

(٢) صحيح مسلم ٢ - كِتَابِ الطَّهَارَةِ ١ - بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ ـ رقم ١ (٢٢٣) ج١ ص٢٠٣ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ.

(٣) صحيح مسلم ٢- كِتَابِ الطَّهَارَةِ ٢ - بَابُ وُجُوبِ الطَّهَارَةِ لِلصَّلَاةِ ـ رقم (٢٢٤) ج١ ص٢٠٤ ، عن ابن عمر .

ثانياً : إن الدين الإسلامي الذى لا يوجد في الأرض دين سماوي سواه ثابت الأصل، سامق(١) الفرع، لَمْ يُشَرِّعْ لِلنَّاسِ شيئا إلا وكان فيه دفع لضرر أو مفسدة، أو جلب لنفع أو مصلحة، وهو يهدي الناس إلى معرفة أحكامه مع معرفة حِكَمِهَا الْكَاشِفَةِ لَهُمْ عَنْ فَوَائِدِهَا وَمَنَافِعِهَا، يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾(٢) فما يتبجحون به من الاهتداء إلى وجوب القيام بالأعمال والآداب، مع مراعاة منافعها وفوائدها، هو مما هدى إليه الإسلام الذى عظم أمر حسن النية في جميع الأمور، وحث على طلب الحكمة في كل عمل.

ثالثا : إن أمر الأمم بالأعمال والآداب التي تفيدها في مصالحها الاجتماعية، ومنافع أفرادها الشخصية، ونهيها عن الأفعال التي تضر الأفراد والجمهور لا يقبلان ويمتثلان بمجرد تعليلهما بدفع الضر وجلب النفع كما يزعمون ؛ لأمرين:

(أحدهما): أن إقناعك جميع أفراد الأمة أو أكثرها بضرر كل ما تراه ضاراً ونفع كل ما تراه نافعاً متعذر، ولم يتفق لأحد من العقلاء والحكماء إرجاع أمة من الأمم عن عمل ضار، ولا حملها على عمل نافع بمجرد دعوتهم إلى ذلك بالدليل على نفع النافع وضرر الضار، ولا ترى أمة ولا قبيلة من

---

(١) سمَقَ يَسمُق، سَمْقًا وسُموقًا، فهو سامِق وسميق• سمَق الشَّجرُ والنَّباتُ وغيرُه: ارتفع، علا وطال "سمَق البناءُ- أشجار سامقة"./ المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل : معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ ص١١١٠. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م الناشر: عالم الكتب .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٥١ .

البشر متفقة على شيء من ذلك إلا بسبب دعوة دينية، أو تقاليد أوصلهم إليها اختبارهم الموافق لطبيعة معاشهم، وكثيراً ما تكون هذه التقاليد المتفق عليها بين قوم مختلفا فيها عند آخرين، أو متفقا على ضرر ما يراه أولئك نافعا، ونفع ما يرونه ضارا.

(ثاني الأمرين): أن مجرد الإقناع والاقتناع بضرر الضار ونفع النافع لا يوجب العمل ولا الترك ؛ لأنه قد يعارضه هوى النفس ولذتها فيرجح الكثيرون الهوى على المنفعة، خصوصا إذا كانت لأمتهم لا لأشخاصهم، وإننا نرى هؤلاء المعترضين يشربون الخمر، وهم يعتقدون أنها ضارة، وقد أفقر القمار بيوت أمثلهم وأشهرهم، وأذل من أذل منهم بالدَّين والحجز على ما يملك، وبيعه حتى قيل إنه أمات بعضهم غماً وكمداً، ونراهم مع ذلك مفتونين به لا يتركونه، فإذا كان هذا شأن أرقاهم علماً وفهماً وأدباً وفلسفة في اتباع أهوائهم التي ثبت لهم ضررها بالاختبار والعيان، وليس وراء ذلك برهان؛ فكيف يزعمون أنه يمكن تهذيب الأمة بالإقناع العقلي على تعذره، وما عرفوا من أثره؟ !

وأما ما يعنون به من النظافة وبعض الآداب، فإنهم لا يأتونه لما عندهم من الفلسفة والعلم بنفعه، بل قلدوا فيه قوما اهتدوا إليه بأسباب اجتماعية علمية وعملية، وتجارب واختبارات عدة قرون.

رابعاً: إذا ثبت بالعقل والبرهان والاختبار والعيان أن إقناع أمة من الأمم بالنفع والضرر متعذر، وأن حملها على ترك الضار وعمل النافع للأفراد وللجمهور ؛ لأنه نافع، غير كاف في هدايتها، ثبت أن إصلاح شأنها بالفضيلة والآداب، وترك المضار، والاجتهاد في سبيل المنافع، يتوقف على تأثير مؤثر آخر يكون له السلطان الأعلى على النفس؛ وهو الدِّينُ .

فثبت بهذا أن الجمع بين معرفة حُكْمِ الأعمال، وكونها طاعة لله تعالى تؤهل العامل لسعادة النفس في الآخرة، كما يستفيد بها ما يترتب عليها من المنفعة في الدنيا، هو الذي يرجى أن يذعن له جمهور الأمة، فمن الناس من لا يطمئن قلبه بالإيمان والإذعان لأحكام الدين إلا إذا عرف حكمة كل أصل من أصوله، وكل حكم من كليات أحكامه، ومنهم من يذعن لكل ما يأمره به دينه، ولا يهمه البحث عن حكمته ؛ لأن استعداده لطلب الحكمة ضعيف، ولكنه إذا قبل ذلك، بادئ بدء، من غير معرفة حكمته لا يلبث أن ينال حظا من هذه الحكمة عندما يتفقه في دينه كما يجب عليه، ومهما ضعف الدين فهو أعم تأثيرا من الإقناع العقلي، فقلما يوجد مسلم متدين لا يغتسل من الجنابة، وما نراه من ترك كثير ممن يسمون مسلمين للكثير من مهمات الإسلام، فسببه أنه ليس لهم من الإسلام إلا الاسم، فلا تعلموا حقيقته، ولا تربوا على تزكيته.

خامساً : أن معنى كون الطهارة، وغيرها من الأعمال الأدبية والفضائل، دينا هو أن الوحي الإلهي يأمرنا بها لما فيها من الخير للفوائد الذاتية التي تنفعنا، وتدرأ الضر عنا، ولفوائد أخرى لا ندركها إلا بجعلها من أحكام الدين، فللطهارة فوائد ذاتية، وفوائد دينية.

أولاً: الفوائد الذاتية للطهارة، وأهمها ما يلي:

١ ـ الغسل يؤثر إيجابياً على صحة البدن، فهو طريقة فعالة من طرق الطب الوقائي لحماية الإنسان من الأمراض والعلل، فالغبار وما يحتوى عليه من الجراثيم والكائنات الدقيقة والمتطفلة الممرضة،والمواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية، والإفرازات المتراكمة على جلد الإنسان هي دعوة للبكتريا كي تتكاثر وتنمو والتي يمكن أن تكون سبباً في إصابة

الإنسان بكثير من الأمراض والعلل، لهذا فإن الغسل قد سبق علم البكتريولوجيا (الجراثيم) الحديثة، والعلماء الذين استعانوا بالمجهر على اكتشاف البكتريا والفطريات التي تهاجم الجلد الذي لا يعتني صاحبه بنظافته التي تتمثل في الوضوء والغسل ومع استمرار الفحوص والدراسات..أعطت التجارب حقائق علمية أخرى، فالوضوء بانتظام وباستمرار طريقة فعالة من طرق الطب الوقائي لحماية الإنسان من فتك هذه الجراثيم، والكائنات الدقيقة والمتطفلة الممرضة (١)، كما أنه يضفي على نفس المؤمن راحة وطمأنينة وسعادة .

٢ــ الوضوء وسيلة فعالة جدا للتغلب على التعب والإرهاق، كما أنه يجدد نشاط الإنسان، فالوضوء يؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات ويتخلص الجسم من ارتفاع ضغط الدم والآلام العضلية وحالات القلق والأرق، وأنه أفضل وسيلة للاسترخاء وإزالة التوتر... (٢) .

---

(١) د. ماجدة عامر ــ أستاذة المناعة بجامعة عين شمس واستشاري الطب البديل ـ : الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية ، د/ عبد الشكور عبد اللطيف : ماذا كشفت الأبحاث العلمية عن الفوائد الطبية للوضوء؟ (من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الإمارات ــ دبي ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م

(٢) قال الدكتور أحمد شوقي إبراهيم عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن واستشاري الأمراض الباطنية والقلب: "توصل العلماء إلى أن سقوط أشعة الضوء على الماء أثناء الوضوء يؤدي إلى انطلاق أيونات سالبة ويقلل الايونات الموجبة مما يؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات، ويتخلص الجسم من ارتفاع ضغط الدم والآلام العضلية وحالات القلق والأرق / د. ماجدة عامر أستاذة المناعة بجامعة عين شمس واستشاري الطب البديل: الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية.

فالوضوء ليس مجرد تنظيف للأعضاء الظاهرة، وليس مجرد تطهير للجسد يتوالى عدة مرات في اليوم، بل إن الأثر النفسي والسمو الروحي الذي يشعر به المسلم بعد الوضوء أعمق من هذا، خاصة مع إسباغ الوضوء وإتقانه، فالوضوء يجعل المسلم دائما في يقظة وحيوية وتألق، قال رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ: غَسَلَ يَدَيْهِ، وَوَجْهَهُ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ الْمَفْرُوضَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا مَشَتْ إِلَيْهِ رِجْلُهُ، وَقَبَضَتْ عَلَيْهِ يَدَاهُ، وَسَمِعَتْ إِلَيْهِ أُذُنَاهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ عَيْنَاهُ، وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ سُوءٍ » ([1]).

٣ ـ الوضوء للصلاة يعيد توازن الطاقة التي تسري في مسارات جسم الإنسان، ويصلح ما بها من خلل بعد تنقية المرء من ذنوبه وخطاياه التي لها تأثير علي الحالة النفسية والجسمية.

فغسل الوجه واليدين والقدمين وتدليك ([2]) هذه الأجزاء يعتبر بمثابة تنشيط لجريان الدم في الأوعية التي تحت الجلد، وهذا ينعكس على الحالة النفسية للمؤمن فيزداد اطمئناناً وسكينة، ويتخلص بذلك من كثير من تراكم الانفعالات النفسية السيئة.

([1]) مسند الإمام أحمد ـرقم ٢٢٦٢٨ ج٥ ص٢٦٣ الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م طبعة عالم الكتب عن أبي أمامة.

([2]) يعتبر التدليك من واجبات الوضوء والغسل عند بعض فقهاء المالكية، وسنة من السنن عند باقي الفقهاء فهو على الجملة مطلوب فعله عند تنفيذ هذه العبادة المتكررة ./ أحمد بن تُرْكي بن أحمد المالكي : خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية ج١ ص١٢ عام النشر: ٢٠٠٢ م الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة ـــ مراجعة: حسن محمد الحفناوي .

ومن الحقائق الطبية أن الدورة الدموية في أطراف الجسم عند اليدين والرجلين هي أضعف منها في بقية أعضاء الجسم وذلك بسبب بعد هذه الأطراف عن مركز ضخ الدم وهو القلب،وقد ثبت أن غسل هذه الأطراف وتدليكهما جيداً بانتظام يقوي الدورة الدموية ويزيد من نشاط ومناعة الجسم ([1]).

فتدليك اليدين والقدمين مسكنة للآلام وذلك لأن تدليك هذه النقاط يتسبب في إفراز مادة الأندروفين وهي مادة المورفين المسكنة بقوة لآلام الطبيعة الداخلية وبالتالي تجعل الإنسان يشعر بالاسترخاء وتخلصه من التوتر والغضب، ولذا قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»([2]).

كما أن تدليك بعض النقاط ينشط الجهاز المناعي مثل LII والتي تقع بجوار المرفق عند ثني الذراع وغيرها كثير،كالنقاط التي تعيد نشاط العمود الفقري والركبة والمثانة ونقاط الاسترخاء والهدوء.

وتدليك اليدين إلى المرفقين يحسن من وضع مسارات الطاقة التي تمر بهذه المنطقة وهي خمس مسارات فتتحسن طاقة الرئتين والأمعاء الغليظة والقلب والأمعاء الدقيقة.

([1]) د. ماجدة عامر أستاذة المناعة بجامعة عين شمس واستشاري الطب البديل: الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية

([2]) سنن أبي داود ـ بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ ـ رقم ٤٧٨٤ ج٤ ص٢٤٩ .قال الألباني : ضعيف .

وكذلك تدليك القدمين إلى الكعبين يحسّن أداء مسارات الطاقة التي تمر بهذه المنطقة وهي سبع مسارات فتتحسن طاقة المعدة والبنكرياس والمثانة والكلى والقناة المرارية والكبد.

أما التخليل بين أصابع اليدين والقدمين وتدليك نقاط الطاقة هذه تساهم في منع إصابة المسلم بكثير من الأوجاع كالصداع وتخفف من درجة التوتر الناتج عن ضغط العمل اليومي،كما يساعد في علاج مشكلات أصابع القدمين.

أما مسح الرأس فينشط مسارات الطاقة المختلفة بطول الجسم من الرأس إلى القدمين بمستوياتها الثلاثة:التنفسي، والعضلي، والبدني(١) .

٤ ـ المضمضة (٢) واستخدام السواك: يحفظان الفم والبلعوم من الالتهابات،ومن أمراض اللثة والأسنان من التسوس بإزالة الفضلات الطعامية التي قد تبقى فيها، فتراكم البقايا الطعامية في الفم يجعلها عرضة للتخمر وتصبح بؤرة مناسبة لتكاثر الجراثيم مما قد يسبب التهابات في اللثة ونخر الأسنان وغيرها من التهابات جوف الفم، فقد ثبت علميا أن ٩٠% من الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة الفم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان، فالمضمضة تخلص الفم من الجراثيم الموجودة بشكل

---

(١) د. ماجدة عامر : الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية .

(٢) المضمضة والاستنشاق سنة في الوضوء والغسل عند الشافعية والمالكية، وقال ابن أبي ليلى، وإسحاق: هما واجبان في الوضوء، والغسل. وقال أحمد، وداود: (الاستنشاق واجب فيهما دون المضمضة) وقال الثوري، وأبو حنيفة: (هما واجبان في الغسل، سنتان في الوضوء) ../ العمراني : البيان ج١ ص١١٣ الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م الناشر: دار المنهاج – جدة ـ المحقق: قاسم محمد النوري.

دائم في اللعاب، وعلى الأسنان واللسان وفي جميع أجزاء الفم، وتقوي بعض العضلات في الوجه وتجعله مستديراً، وهذا التمرين لم يذكره من أساتذة الرياضة إلا القليل لانصرافهم إلى العضلات الكبيرة في الجسم،واستعمال السواك يصير الأسنان ناصعة البياض، واللثة والشفتان جميلة اللون الأحمر، وما في عود الأراك من المادة العفصية العطرة يشد اللثة، ويحول دون حفر الأسنان، ويقوي المعدة على الهضم، ويدر البول([1]).

٥ــ الاستنشاق يقي الأنف من الأمراض ويمنع الجراثيم من الانتقال إلى الجهاز التنفسي.

أثبت العلم الحديث بعد الفحص الميكروسكوبي للمزرعة الميكروبية التي أجريت للمنتظمين في الوضوء ولغير المنتظمين: أن الذين يتوضئون باستمرار قد ظهر الأنف عند غالبيتهم نظيفا طاهراً خاليا من الميكروبات، ولذلك جاءت المزارع الميكروبية التي أجريت لهم خالية تماما من أي نوع من الميكروبات، في حين أعطت أنوف من لا يتوضئون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية العنقودية الشديدة العدوى، والكروية السبحية السريعة الانتشار، والميكروبات العضوية التي تسبب العديد من الأمراض، ولا تستطيع المضادات مقاومتها.

وقد ثبت أن التسمم الذاتي يحدث من جراء نمو الميكروبات الضارة في تجويفي الأنف، ومنهما إلى داخل المعدة والأمعاء وإحداث الالتهابات

([1]) مجلة الإصلاح العدد ٢٩٦، سنة: ١٩٩٤م من ندوات جمعية الإعجاز العلمي للقرآن في القاهرة نقلا عن:http://sakifahiraq.co

والأمراض المتعددة ولاسيما عندما تدخل الدورة الدموية (١).

فيعمل الاستنشاق والاستنثار (٢) كلاهما معاً على التخلص مما تراكم في الأنف من مواد مخاطية، وما التصق بها من غبار وجراثيم، وهذا يقي الأنف من الأمراض ومنع الجراثيم من الانتقال إلى الجهاز التنفسي، وتجديد طبقته المخاطية وتنشيطها لتقوم بوظيفتها الحيوية على أتم وجه.

وإذا ما علمنا أن أكثر الأمراض انتشاراً بين الناس كالزكام والأنفلونزا والتهاب القصبات إنما تنتقل إلى الإنسان عن طريق الرذاذ الذي يخرج من المريض بواسطة الهواء الذي يمر عبر الأنف أدركنا أهمية الدعوة النبوية للالتزام بعمل الاستنشاق والاستنثار مع كل وضوء والذي يكرره المسلم مرات ومرات في اليوم لأداء صلواته (٣) .

٦ ـ فالوضوء علاج خفي لسائر أعضاء الجسم إذ يعالج الخلل الموجود بالجسم، والدليل عن ذلك ما روي عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»(٤).

---

(١) مجلة الإصلاح العدد ٢٩٦سنة١٩٩٤من ندوات جمعية الإعجاز العلمي للقرآن في القاهرة نقلا عن:
http://sakifahiraq.co

(٢) استَنْثَر الإنسانُ: استَنْشَقَ الْمَاءَ ثُمَّ اسْتَخْرَجَ ذَلِكَ بِنَفَسِ الأَنفِ. / ابن منظور : لسان العرب ج٥ ص ١٩١.

(٣) المضمضة والاستنشاق والاستنثار قلم الدكتور محمد نزار الدقر:
http://www.shefaa.org

(٤) أخرجه مسلم في ـ٢ - كِتَابِ الطَّهَارَةِ ـ ١١ - بَابُ خُرُوجِ الْخَطَايَا مَعَ مَاءِ الْوُضُوءِ ـ رقم [٣٣ ـ (٢٤٥)] ج١ ص٢١٦ .

اكتشف أخيرا أن للذنوب علاقة طردية بالأيدي والأرجل والوجه والأذن؛ فقد وجدوا أن الذنوب تحدث أثرا يتعلق بمسارات الطاقة والمجال الحيوي المحيط بجسم الإنسان، حيث إنها تترك اختلافات واضحة فيه؛ بمعني تغير الوجه أو العضو، مما يؤثر علي صحته بالسلب؛ وذلك لأن الإنسان لا يتكون من مادة صلبة فحسب، بل إن الذرات المكونة لجسمه ما هي إلا طاقات الكتروكيميائية والكترومغناطيسية .

فالوضوء يجدد كل خلايا الجسم ويمدها بالطاقة اللازمة التي تشع من أجسامنا، والتي تسمى "بران"، ويعيد التوازن النموذجي للمجال الحيوي المحيط بالإنسان، ويصلح أي خلل في مسارات الطاقة، وفي ذلك حماية له من الآثار السلبية للتكنولوجيا الحديثة وتلوث البيئة وغيرها من المجالات المختلفة المؤثرة على الطاقة الحيوية للإنسان.

ما تقدم هو نتائج بحوث متواصلة تم فيها استخدام أحدث وسائل البحث من أجهزة تعقيم ووسائل تغذية للبكتريا والميكروبات، وهو ما يسمى بالاستنبات(١) ليتم من خلالها دراسة أعداد البكتريا المتكونة في حيز صغير، وكذلك أجهزة الميكروسكوب المجهرية وغيرها من وسائل مخبرية حديثة لمعرفة حقائق تلك الكائنات الدقيقة التي ما كان لأحد قبل ألف وأربعمائة عام أن يتخيل بأن هناك شيء اسمه كائنات دقيقة فضلا عن تصور إمكانية رؤيتها، بل فضلا عن إمكانية دراسة كيفية معالجتها والتخلص منها.

---

(١) استنبات بكتيريّ: (طب) زرع البكتريا، أو الأنسجة الحيّة للدراسة العلميَّة أو للأغراض الطبيّة./: د أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل : معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ ص ٢١٥٥.

إن ما أخبر به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أمور بخصوص الطهارة سواءً من خلال أقواله وتطبيقه لها أو بالحض على فعلها، وحرصه على أن يتأسى به أصحابه من بعده، إن كل ذلك ليؤكد لنا أن تلك السنن التي حافظ عليها نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمرنا بفعلها إنما هي من أمر خالق عليم بأحوال خلقه وما ينفعهم في دينهم ودنياهم رحيم بهم ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١)، وأن ما أخبرنا به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أمر حق من الحق على لسان صادق مصدوق لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، اختاره الله العظيم ليكون رسولا مبشرا ونذيرا ومعلما ورفيقا بالناس كافة، فهل آن الآوان لأولي الألباب أن يقولوا سمعنا وأطعنا؟(٢).

ومن ذلك كله تتجلى المصالح في تشريع الأحكام في الإسلام، وما يحمله من فوائد صحية ووقائية.

ثانيا: الفوائد الدينية من جعل الطهارة من أحكام الدين وعبادته فأربع هي:

---

(١) سورة الملك ، من الآية : ١٤ .

(٢) قسطاس إبراهيم النعيمي : الإعجاز العلمي في المضمضة ، والاستنشاق، والاستنثار :مراجعة: علي عمر بلعجم ٨/ ٤/ ٢٠٠٨م. الإعجاز العلمى في الإسلام والسنة النبوية بقلم : محمد كامل عبد الصمد

مجلة الإصلاح العدد ٢٩٦ سنة ١٩٩٤ - من ندوات جمعية الإعجاز العلمي للقرآن في القاهرة ، د/ عبد الشكور عبد اللطيف : ماذا كشفت الأبحاث العلمية عن الفوائد الطبية للوضوء؟ (من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الإمارات-دبي ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

الفائدة الأولى: أن يتفق على المواظبة عليها كل مذعن لهذا الدين ؛ من حضري وبدوي، وذكي وغبي، وفقير وغني، وكبير وصغير، وأمير ومأمور، وعالم بحكمتها وجاهل لمنفعتها حتى لا تختلف فيها الآراء، ولا تحول دون العمل بها الأهواء، كما هو شأن البشر في جميع ما يستقلون فيه من الأشياء.

الفائدة الثانية: أن تكون من المذكرات لهم بفضل الله ونعمته عليهم؛ حيث شرع لهم ما ينفعهم ويدرأ الضرر عنهم، فإذا تذكروا أنه يرضيه عنهم أن تكون أجسادهم على أكمل حال من النظافة والطهارة، ويتذكرون أن أهم ما فرض عليهم لأجله تطهير أجسادهم هو أنه من وسائل تزكية أنفسهم وتطهير قلوبهم وتهذيب أخلاقهم التي يترتب عليها صلاح أعمالهم ؛ لأنه تعالى ينظر نظر الرضاء والرحمة إلى القلوب والأعمال، لا إلى الصور والأبدان، فيعنون بالجمع بين الأمرين؛ توسلا بهما إلى سعادة الدارين، كما هو مقتضى الإسلام ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .

الفائدة الثالثة: أن مجرد ملاحظة المؤمن امتثال أمر الله تعالى بالعمل، وابتغاء مرضاته بالإتيان به على الوجه الذي شرعه، مما يغذي الإيمان به، ويطبع في النفس ملكة المراقبة له، فيكون له عند كل طهارة بهذه النية والملاحظة، جذبة إلى حظيرة الكمال المطلق، تتزكى بها نفسه، وتعلو بها همته، وتتقدس بها روحه، فيصلح بذلك عمله، وقس على هذه العبادة سائر العبادات .

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٠١ .

الفائدة الرابعة: اتفاق المؤمنين على أداء هذه الطهارات بكيفية واحدة، وأسباب واحدة أينما كانوا ومهما كثروا وتفرقوا، وأن اتفاق أفراد الأمة في الأعمال من أسباب الاتفاق في القلوب ؛ فكلما كثر ما تتفق به كان اتحادها أقوى.

ثم نقول: إن ما احتجوا به من تقصير كثير من المسلمين في الطهارة العامة، لا حجة فيه، نعم إنهم صاروا يقصرون في النظافة، ويعدون الطهارة أمرا تعبديا، لا ينافي القذارة، ويرون أنه يمكن أن يكون الإنسان طاهرا، وإن كان كالجيفة، وأن يكون نظيفا تام النظافة، وهو غير طاهر، ويعدون كثيرا من الطيب والمائعات المطهرة نجسة ؛ كالكحول، وأنواع الطيب التي يدخل فيها.

ونحن نقول: إن الدين الإسلامي حجة على أمثال هؤلاء، وليسوا حجة عليه، إلا عند من يجهل حقيقته ويتلقاه عنهم، لا عن كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأكثر هؤلاء المتفرنجين المعترضين يجهلون حقيقته، ومنهم من لا يعرف من أصوله ولا من فروعه شيئا، إلا ما يسمعه ويراه من هؤلاء العوام، بل يعدون من الإسلام ما يسمعونه من بعض أعدائه، ويقرءونه في صحفهم وكتبهم،وما يكتبه رجال السياسة ؛ لأنهم يتبعون فيه الهوى، فكل من هذين الفريقين ينظر إلى كتب الإسلام، وإلى حال المسلمين بعين السخط، ملتمسا منها ما يمكن له أن يعيبه وينفر منه ؛ فهو لا يطلب حقيقته، ولذلك لا يدركها، ولا يقول ما ظهر له منها على وجهه، بل يحرف الكلم عن مواضعه (١).

(١) الشيخ / محمد رشيد رضا : تفسير المنار ج٦ ص٢١٩ ـ ٢٢٣ .

المبحث الثاني:

كشف شبهة الملاحدة في الزكاة .

يقول الملاحدة: أَوَ هذه هي العدالة الاجتماعية التي تمنوننا بها يا دعاة الإسلام؟ أن يعيش الشعب عالة على الصدقات التي يدفعها المحسنون من الأغنياء؟ وتسمون هذه عدالة؟ وترضون لكرامة الناس هذا الهوان؟([1]).

ولكشف هذه الشبهة نقول:

١ ــ إن أبرز خطأ وقع فيه الملاحدة، هو ظنهم أن الزكاة صدقة يتفضل بها الأغنياء على الفقراء، ولا يمكن أن يتصور المسألة على هذا الوضع إنسان له عقل سليم، فأبسط قدر من المنطق كفيل بأن يقنعهم أن الإحسان تطوع لا يفرضه حاكم ولا تشريع، والزكاة فريضة يقررها الشرع، فهي الركن الثالث من أركان الإسلام، عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قال: « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» ([2]).

وتكرر الأمر بإيتاء الزكاة في القرآن الكريم حتى صار الإيمان بفرضيتها مما علم من الدين بالضرورة، وتقاتل عليها الدولة الممتنعين عن أدائها، وتقتلهم إذا أصروا على امتناعهم، لأنهم حينئذ يعتبرون مرتدين، فعن أبي

([1]) أ / محمد بن قطب بن إبراهيم : شبهات حول الإسلام ص ٧٥ الطبعة الحادية عشرة .

([2]) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ ٥ ـ باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام رقم ٢١ ــ (١٦) ج١ ص ٤٥ .

هريرة ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ، وكفر من كفر من العرب، فقال عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ:" كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ »، فَقَالَ:" وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا (١) **كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا " قَالَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: « فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»** (٢)، **وعند أبي داود لو منعوني عِقَالًا** (٣)، (٤)، (٥).

كما أعطى الإسلام الدولة حق مصادرة جزء من مال مانع الزكاة إذا كان فرداً فقد روي عن بهز بن حكيم (٦) **عن أبيه، عن جده، عن النبي ـ صلى**

---

(١) العِنَاقُ :بالفتح الأُنثى من ولد المعز التي لم تبلغ سنة. والجمع أَعْنُقٌ و عُنُوقٌ ./ الرازي : مختار الصحاح ج ١ ص ٤٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ـ ١ ـ باب وجوب الزكاة، رقم ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ج٢ ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٣) العقال : الحبل الذي تعقل به البعير / الرازي : مختار الصحاح ج ١ ص ٤٦٧ .باب العين .

(٤) أخرجه أبو داود في " السنن" ـ كتاب الزكاة رقم ١٥٥٦ ح٢ ص ٩٣ الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

(٥) ابن قدامة : المغني ج٢ ص ٣٥٩ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م دار الكتب العلمية .

(٦) بهز بن حكيم :هو بهز بن حكيم بن معاوية بن حيده، أبو عبد الملك القشيرى البصرى، صدوق من السادسة، وثقة ابن المدينى، وقال ابن حبان:

الله عليه وسلم ـ أنه كان يقول : « مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا فَلَهُ أَجْرُهَا، وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا، وَشَطْرَ إِبِلِهِ عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا، لَا تَحِلُّ لِآلِ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَيْءٌ»(١)، فعلى هذا إذا ثبت أن إنساناً ما له مال يمنع زكاته فللدولة أن تعاقبة بأخذ شطر ماله عقوبة مالية ، قال به من الفقهاء: إسحاق بن راهويه (٢) والشافعي في [القديم] (٣).

كان يخطئ كثيراً، فأما أحمد وإسحاق فاحتجا به، وتركه جماعة، قال الذهبى: ما تركه عالم قط، إنما توقفوا في الاحتجاج به، وقال الحاكم ثقة، إنما أسقط من الصحيح، لأن روايته عن أبيه عن جده شاذة لا متابع له عليها، روى عن: أبيه عن جده، وعن زرارة بن أوفى، وروى عنه : سفيان، وحماد بن زيد، ويحيى القطان وخلق . / الذهبى : ميزان الاعتدال ج١ ص ٣٥٣، ٣٥٤ رقم ١٣٢٥، ابن حجر : تقريب التهذيب ج١ ص ١٠٩ رقم ١٥٠ .

(١) أخرجه الإمام أحمد في " المسند " رقم ٢٠٠٣٠ ج٥ ص ٢ ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص - ج ١ ص ٥٥٤ رقم ١٤٤٨ .وقال :هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، اللفظ لأحمد .

(٢) إسحاق بن راهويه: هو الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم ابن عبد الله بن مطر بن عبيد الله بن غالب التميمي، ثم الحنظلي، المروزي، نزيل نيسابور. ولد في سنة إحدى وستين ومائة.،.وتوفي ليلة نصف شعبان، سنة ثمان وثلاثين ومائتين.وله سبع وسبعون سنة. ./ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٣٥٨ وما بعدها . رقم ٧٩ .الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م مؤسسة الرسالة.

(٣) وقال أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي (في الجديد) :إن منعها معتقدا وجوبها، وقدر الإمام على أخذها منه، أخذها وعزره، ولم يأخذ زيادة عليها

٢ ــ الزكاة ليست إغراءً بالبطالة ولا تشجيعاً للكسالى والقاعدين، فلا تحل لغني ، ولا لقوي مكتسب (١)، **قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ** (٢)» (٣)، **فكل قادر على الكسب مطلوب منه شرعاً أن يعمل ليكفي نفسه بنفسه ، قال رسول اللهـ صلى الله عليه وسلم ـ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ »** (٤)، **والدولة في الإسلام مكلفة بتوجيه أفرادها إلى العمل كل بما يناسبه عن الزبير بن العوام، قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَ وَيَأْكُلَ،**

./ العيني : البناية شرح الهداية ج٣ ص٢٩١ الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م دار الكتب العلمية ـ بيروت ، السيد عثمان بن بري الجعلي المالكي : سراج السالك شرح أسهل المسالك ج١ ص ٢١٠ طبعة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م دار الفكر ، العمراني: البيان ج٣ ص ١٣٧، ابن قدامة : المغني ج ٢ ص ٣٥٩ـ ٣٦١ .

(١) محمد إبراهيم برناوي : خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي ص٢١٢ الطبعة: ربيع الآخر - رمضان ١٤٠١ هـ الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، سعيد حَوّى : الإسلام ص١٣٢ الطبعة السابعة ١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م دار السلام ـالقاهرة .

(٢) المِرَّةُ: القُوَّةُ والشِّدّةُ، والسَّوِيُّ: الصَّحيحُ الأَعْضاءِ. ./ ابن منظور : لسان العرب ج٥ ص ١٦٨ .

(٣) أخرجه الترمذي في " السنن " ٥ - أَبْوَابُ الزَّكَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بَابُ مَنْ لَا تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ ـ رقم ٦٥٢ ج٣ ص٣٣ ، ٣٤ . قال الألباني : صحيح .

(٤) صحيح البخاري ٣٤ - كِتَابُ البُيُوعِ ـ بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ ـ رقم ٢٠٧٢ ج٣ ص٥٧ . عَنِ المِقْدَامِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ .

خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ» (١)، فالحديث تقرير من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ولي الأمر من واجبه أن يوجه أفراد مجتمعه إلى العمل، ليعود بالنفع عليهم وعلى من يعولون، وعلى المجتمع كله، وقد أكَّد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه المسئولية بقيامه بالتوجيه إلى العمل، حسب طبيعة البيئة يومئذ، وهذه المسئولية هي التي اهتدت إليها أحدث النظريات في السياسة والاجتماع.

فأما إذا عجز بعض أفراد المجتمع عن العمل لضعف ذاتي، كالصغر والأنوثة، والعتة، والشيخوخة، والعاهة والمرض، فكفالتهم على بيت المال، حتى تذهب الحاجة عنهم، وهم كرماء على أنفسهم وعلى الدولة وعلى الناس (٢).

٣ ـ أن الذي يوزع حصيلة الزكاة على الفقراء هو الدولة ذاتها لا الأغنياء بأشخاصهم، الدولة هي التي تجمعها وهي التي توزعها، وليس بيت المال إلا وزارة المالية التي تجمع الميزانية العامة ثم تعيد توزيعها على مختلف مرافق الدولة، فإذا كانت الدولة تقوم بكفالة المحتاجين – بسبب عجزهم الكامل عن الكسب، أو عدم كفاية مواردهم للحياة الكريمة – فليس هذا تفضلاً وإحساناً، وليس فيه ما يغض من كرامة المحتاجين، وهل يحس الموظفون الذين تمنحهم الدولة معاشاً أو العمال الذين تصرف لهم تأميناً أنهم متسولون يعيشون على حساب الأغنياء؟ والأطفال والشيوخ العاجزون عن الكسب.. هل يخدش كرامتهم أن تنفق الدولة عليهم من

---

(١) أخرجه الطبراني في " المعجم الكبير " ـ رقم ٢٥٠ ج١ ص١٢٤ الطبعة: الثانية ـ دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة .

(٢) أ / محمد قطب إبراهيم : شبهات حول الإسلام ص ٧٦ ـ ٧٨.

مالها ما دامت تقوم بذلك أداءً لواجبها؟ إن مبدأ كفالة الدولة هو أحدث المبادئ التي اهتدت إليها البشرية بعد تجارب كثيرة، وبعد تخبط طويل في الظلم الاجتماعي.

فمن مفاخر الإسلام أنه قرر مبدأ كفالة الدولة للمحتاجين في وقت كانت أوربا تعيش في الظلمات،أم إن النظام يصبح جميلاً وبراقاً حين يأتينا من الغرب أو الشرق، ولكنه تأخر وانحطاط حين ينادي به الإسلام؟

٤ ـ إذا كانت حياة الناس في صدر الإسلام قد اقتضت أو تقبلت أن يأخذ الفقراء الزكاة نقداً أو عيناً في أيديهم، فليس في الإسلام ما ينص على أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتوزيع الزكاة، وليس هناك ما يمنع من صرفها في (المصالح العامة) التي لا ملك فيها لأحد، والتي لا يختص بالانتفاع بها أحد، فملكها لله، ومنفعتها لخلق الله، وأولاها وأحقها: التكوين الحربي، الذي ترد به الأمة البغي، وتحفظ الكرامة، ويشتمل على تجهيز الجيش بأحدث المخترعات البشرية من وسائل التسليح، والمستشفيات عسكرية ومدنية، وتعبيد الطرق، ومد الخطوط الحديدية، وغير ذلك مما يعرف أهل الحرب والميدان، ويشمل الإعداد القوي الناضح لدعاة إسلاميين، يظهرون جمال الإسلام وسماحته وينشرون كلمته، ويبلغون أحكامه، ويتعقبون مهاجمة الخصوم لمبادئه بما يرد كيدهم إلى نحورهم، وكذلك يشمل العمل على دوام الوسائل التي يستمر بها حفظة القرآن الذين تواتر ـ ويتواتر ـ بهم نقله كما أنزل من عهد وحيه إلى اليوم، وإلى يوم الدين إن شاء الله، وصرفها لمستحقيها في صورة مدارس مجانية يعلمون فيها أبناءهم، ومستشفيات مجانية يتداوون فيها، وجمعيات تعاونية تسهل لهم وسائل العيش، ومصانع أو مؤسسات يرتزقون منها رزقاً دائماً، إلى آخر ما يوحيه العصر الحديث من وسائل

الخدمة الاجتماعية، فلا تعطى الزكاة نقداً إلا للعاجزين بسبب المرض أو الشيخوخة أو الطفولة، ويأخذها غيرهم في صورة عمل وخدمات، فقوله تعالى: ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١)، عام يشمل كل ما يحفظ للأمة مكانتها المادية والروحية ويحقق شعائرها على الوجه الذي به تتميز عن غيرها، وتقضي به حاجتها من نفسها (٢).

٥ ـ ليس أصلاً من أصول المجتمع الإسلامي أن يكون فيه فقراء يعيشون من أموال الزكاة، وقد وصل المجتمع الإسلامي إلى صورته المثالية في عهد عمر بن عبد العزيز حيث كانت الزكاة تجبى فلا يجد عمالها فقراء يوزعونها عليهم أو أحداً يقبلها منهم.

---

(١) سورة التوبة ، من الآية : ٦٠.

(٢) العينى: البناية شرح الهداية ج٣ ص٤٥٤ ، ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار ج٢ ص٣٤٣ ، محمد بن فرامرز الشهير بملا خسرو : درر الحكام شرح غرر الأحكام ج١ ص١٨٩ الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـبدون طبعة وبدون تاريخ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي :أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٣ ص٨٦ ، فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ج٦ ص٣٢٧ أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨م الناشر: دار نهضة – القاهرة ـ الطبعة: الأولى، الإمام الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ص١٤٥ ـ نسخة هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ .

قال الكاساني من فقهاء الحنفية :[وأما قوله تعالى (وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ) عبارة عن جميع القرب فيدخل فيه كل من سعى في طاعة الله تعالى ، وسبيل الخيرات إذا كان محتاجاً]. / بدائع الصنائع ج٢ ص١٥٤ الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

وإنما الفقر أو الحاجة أمر يعرض لكل مجتمع، فلا بد من تشريع لمواجهته؛ وقد كان الإسلام يضم إليه باستمرار مجتمعات جديدة غير متوازنة الثروة، فكان لا بد من هذا التشريع حتى يصل بهذه المجتمعات رويداً رويداً إلى حالتها المثالية التي وصلت إليها في عهد عمر بن عبد العزيز(١).

٦ ـ إن مرتكز نظام المال في الإسلام هو الزكاة، فهي بمثابة العمود الفقري فيه، إذ أن نظام المال في الإسلام يقوم على أساس الاعتراف لله بأنه المالك الأصيل، وبالتالي الاعتراف بأن له وحده الحق في تنظيم قضية التملك والحقوق فيه ومآله، والزكاة هي التعبير العملي عن هذا كله، إذ أنها أهم الحقوق التي جعلها في الملك، وليست كلها كما يفهم بعض الناس، فقد ورد في الحديث: «إِنَّ فِي المَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ» (٢)، ولذلك كانت رمز الاستسلام لله في قضايا المال كلها، يقول عليه الصلاة والسلام « وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ » (٣) . ذلك شأن الزكاة.

أما " الصدقات " الحقيقية، أي الأموال التي يخرجها الأغنياء تبرعاً وإحساناً، فقد أقرها الإسلام فعلاً ودعا إليها وجعل لها صوراً شتى، فمن إنفاق على الوالدين والأقربين، إلى إنفاق على المحتاجين عامة، إلى تصدق بالعمل الطيب والكلمة الطيبة.

---

(١) أ / محمد قطب : شبهات حول الإسلام ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في " السنن " ٥ - أَبْوَابُ الزَّكَاةِ ـ بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ فِي المَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ ـ رقم ٦٦٠ ج٣ ص٤٠ قال الألباني : ضعيف .

(٣) صحيح مسلم ٢ - كِتَابِ الطَّهَارَةِ ـ ١ - بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ ـ رقم ١ - (٢٢٣) ج١ ص٢٠٣ .

ولا يقول أحد إن الإنسان حين يكرم أهله يكون مسيئاً لمشاعرهم، محقراً لهم، وإنما هو الود والتعاطف وجمع الشمل وتأليف القلوب، وحين تعطي أخاك هدية أو تولم لأقاربك وليمة تحييهم فيها وتقوم على خدمتهم، فلن تستثير بذلك حقدهم وكراهيتهم، أو شعورهم بالذلة والانكسار.

أما إعطاء المساكين هبة عينية، فشأنه شأن الزكاة في صدر الإسلام، كانت الحياة تتقبله في ذلك الحين كوسيلة كريمة لإغاثة المحتاج وإعانة المكروب، ولكنه ليس سبيلاً واحدة مكتوبة فلا تبديل لها ولا فرار منها، وإنما السبل إليه شتى، ويمكن أن يأخذ شكل هبات للجمعيات أو المؤسسات التي تقوم بخدمة اجتماعية، ويمكن أن يساعد الدولة المسلمة في كل ما تحتاج إليه من أموال لتنفيذ مشروعاتها.

ثم إن شأنه شأن الزكاة في ناحية أخرى، فما دام في المجتمع فقراء فلا بد من إعانتهم بكل السبل للاستمتاع بالحياة، ولكن ليس المفروض في المجتمع الإسلامي أن يكون فيه فقراء، فحين يصل إلى حالته المثالية فيستغني – كما حدث من قبل – عن الزكاة، فهو يستغني كذلك عن الإحسان، وتبقى لهذا وتلك مصارف محدودة لا يستغني عنها أي مجتمع في الأرض، وهي كفالة العاجزين عن العمل لأي سبب من الأسباب (١).

فالهدف من الزكاة هو تحقيق التكافل المادي بين المسلمين، وتطهير نفس صاحبها من داء الشح والبخل، وتعوِّد المؤمن البذل والسخاء، كيلا يقتصر على الزكاة، وإنما يساهم بواجبه الاجتماعي في رفد الدولة بالعطاء عند الحاجة، وإزالة الأحقاد والضغائن التي تكون في صدور الفقراء والمعوزين، فإن الفقراء إذا رأوا تبسط الأغنياء بالأموال، وعدم انتفاعهم

(١) أ / محمد قطب إبراهيم : شبهات حول الإسلام ص ٧٦ ـ ٧٨.

بشيء منها لا بقليل ولا بكثير، فربما يحملون عداوة وحسداً على الأغنياء، حيث لم يراعوا لهم حقوقاً، ولم يدفعوا لهم حاجة، فإذا صرف الأغنياء لهم شيئاً من أموالهم على رأس كل حول زالت هذه الأمور، وحصلت المودة والمؤاخاة (١).

وللزكاة فوائد اقتصادية، وهي ما يلي:

١ـ أن فيها تنمية للأموال وتكثيراً لبركتها، لما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ـ رضي الله عنه ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ،أنه قَالَ: « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ » (٢)، أي إن نقصت الصدقة المال عيناً، فإنها لن تنقصه، بل يخلف الله بدلها ويبارك له في ماله.

٢ ـ إن فيها توسعة وبسطاً للأموال، فإن الأموال إذا صرف منها شيء اتسعت دائرتها، وانتفع بها الفقير من الناس، بخلاف ما إذا كانت دولة بين الأغنياء لا يحصل الفقراء على شيء منها.

---

(١) الكاساني : بدائع الصنائع ج٢ ص٧٧ ، الدهلوي : حجة الله البالغة ج ٢ ص ٤٧ دار التراث ـ القاهرة ، الشيخ عبد الله البسام : مجلة مجمع الفقه الإسلامي ـ الدورة الرابعة ـ العدد الرابع ج١ ص ٧٠٧ . د/ وهبة الزحيلي : الفقه الإسلامي وأدلته ج٣ ص١٧٩٠ .

(٢) صحيح مسلم ٤٥ ـ كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ١٩ ـ بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ ـ رقم ٦٩ ـ (٢٥٨٨) ج٤ ص٢٠٠١ .

٣ ـ الزكاة لا تفرض على الشخص وإنما تفرض على الدخل أو الثروة، وتفرض الزكاة على الثروة بمعدل ٢/٥% [١]، أما إذا كانت على الدخل فإنها تفرض بمعدل ٥ أو ١٠%. هذا الأمر اضطراد في جميع الزكوات: ذهب وفضة، عروض تجارة، زروع وثمار .. إلخ.

والثروة التي تحولت إلى أصل رأسمالي منتج لا تفرض عليها الزكاة في عينها وإنما تفرض الزكاة على الناتج منها؛ أي على الدخل [٢]، فالأمر على هذا النحو يعنى أن تشريع الزكاة يحفظ الأصول الرأسمالية التي يقوم عليها الإنتاج في المجتمع.

وحفظ الأصول الرأسمالية التي يقوم عليها الإنتاج يحفظ للمجتمع فعاليته وكفاءته الاقتصادية، وهذا بدوره يؤمن الاستقرار الاقتصادي للمجتمع، ويؤمن له التقدم الاقتصادي المضطرد.

والثروة التي لم تتحول إلى أصل رأسمالي منتج؛ أي ظلت عاطلة تفرض الزكاة على عين هذه الثروة، والنتيجة التي تترتب على ذلك أن هذه الثروة تتناقص وتتآكل باستمرار فرض الزكاة عليها طالما أنها تبلغ النصاب.

---

(١) فزكاة الذهب والفضة هي ثروة سائلة ، وزكاة الثروة الحيوانية على السائمة وليست على العاملة والسائمة ثروة سائلة.، زكاة المعادن ثروة سائلة تحولت من باطن الأرض إلى ظاهرها.

(٢) فزكاة الزروع والثمار هي دخل من ثروة تحولت إلى أصل رأسمالي منتج (الأرض)، والمصانع ثروة تحولت إلى أصل رأسمالي منتج ، وشركات المواصلات والاتصالات ثروة تحولت إلى أصل رأسمالي منتج ، والأسهم التي تعطى أرباحاً ثروة تحولت إلى أصل رأسمالي منتج.

فالزكاة على الثروة تؤدى أن يعمل مالك هذه الثروة على استثمارها ليتحقق منها عائد، وبهذا يحافظ مالك هذه الثروة على أصلها ويدفع الزكاة من الدخل الذي يتحقق من استثمارها.

والنتيجة التى تترتب على فرض الزكاة على عين الثروة لا تقتصر من حيث آثارها على مالك الثروة وإنما المجتمع تتحقق له فائدة من ذلك، إن اقتصاد هذا المجتمع ينمو ويتقدم ويتطور حيث كل ادخاراته تتحول إلى أصول رأسمالية تعمل في جميع المجالات الاقتصادية.

وتحويل الثروة إلى أصول رأسمالية منتجة، يكون له أثره على طبيعة سلوك الشخص نفسه، فالشخص الذي يتفاعل مع الزكاة تفاعلاً إيجابياً صحيحاً يكتسب عادة أن يكون هو وثروته، أو أن يكون مع ثروته قوة منتجة في المجتمع تعمل على الارتقاء الاقتصادي بالشخص وبمجتمعه(١).

فهذه الفوائد كلها في الزكاة تدل على أن الزكاة أمر ضروري لبناء مجتمع صالح متكامل متكافئ بقدر الإمكان، وأن الإسلام لم يهمل الأموال ولا المصالح التي يمكن أن تبنى على المال، ولم يترك للنفوس الجشعة الشحيحة الحرية في شُحها وهواها، بل هو أعظم موجه للخير ومصلح للأمم، وأن أية أمة من الأمم تطبق هذا المنهج الرباني الخالد في نظام حياتها واقتصادها وشتى شئون الحياة لاشك أنها ستعيش في سعادة كاملة تامة، لا تعرف معها الفوضى الأخلاقية ولا الحرمان والظلم والجور

(١) أ.د/ رفعت السيد العوضي أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر : الإعجاز التشريعي في الزكاة (أوجهه ومعاييره ودلالاته الاجتماعية) المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

والأنانية وحقد الطبقات بعضها على بعض كما هو مشاهد اليوم في الدول الاشتراكية، بل ولا تشكو من الفائض ولا التضخم المتزايدين اللذين يشكلان الأزمات الاقتصادية لتكدس الثروات بأيدٍ قليلة لها السيطرة التامة على النظام الاقتصادي العام للبلاد، وسبحان الله العلي الحكيم (١).

(١) محمد إبراهيم برناوي : خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي ص ٢١٣.

الإهداء

المبحث الثالث:

كشف شبهة الملاحدة في أن الصيام يضعف الإنسان .

يقول الملاحدة: نحن نرى أن رمضان يتسبب في قلة الإنتاج، نظرًا لجوع الناس وعطشهم، فترى الموظفين في المصالح الحكومية نائمين على المكاتب، والعمّال متكاسلين، وإذا سألتهم اعتذروا بقولهم: إنه رمضان ([1]).

ولكشف هذه الشبهة نقول:إن هذه التهمة سببها خطأ الصائمون، لأنهم يقومون أثناء شهر رمضان بالسهر طوال الليل، فمن الطبيعي أن يذهب الناس إلى أعمالهم في حالة من الإعياء الشديد، فأجهزة الإعلام بدلًا من أن تقرب الناس من ربهم في هذا الشهر الكريم حولته إلى لعب ولهو ، ثم بعد ذلك يُتَّهم شهر رمضان بأنه يتعب الناس ويعطل الإنتاج، في حين أنه شهر الخير والبركة، شهر الانتصارات والفتوحات الإسلامية .

ولو أن المسلمين ناموا مبكِّرين، مَا حدث ما تتحدثون عنه من تكاسل العمال ونوم الموظفين على المكاتب، ولو أنهم أخروا السحور كما أمرهم نبيهم لكان سببا في عدم إحساسهم بالجوع والعطش الذي تتحدثون عنه، ولكان سببا في نشاطهم، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً» ([2])،وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

([1]) الشيخ / محمد ياسين : ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين ـ ٥٠٠ سؤال وجواب في الرد على أهل الكتاب ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ـ .الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م الناشر مكتبة الإيمان .

([2]) صحيح البخاري ٣٠ - كِتَابُ الصَّوْمِ ـ بَابُ بَرَكَةِ السَّحُورِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ ـ رقم ١٩٢٣ ج٣ ص٢٩عن أنس بن مالك .

«عَجِّلُوا الْإِفْطَارَ وَأَخِّرُوا السُّحُورَ» (١). ومما زاد الأمر سوءاً ظهور بعض الفضائيات الخبيثة وما يُبَث فيها من برامج تافهة، جعلت الناس يسهرون ليس في رمضان وحده، بل في السنة كلها، ونحن نتحدى أي دولة في العالم، أن يسهر أهلها لوقت الفجر لمدة شهر كامل، ثم يستطيعوا أن يُنتجوا، أو يذهبوا لأعمالهم بنشاط، حتى ولو كانوا غير صائمين (٢).

وليس جانب الحرمان من الطعام والشراب، هو الهدف الذي قُصد بافتراض الصوم على المسلمين، وإنما هو مظهر مادي للصوم تكمن وراءه حكمته الحقيقية،وهي: غرس خلق المراقبة وخلق الصبر في نفوس المؤمنين، وبهما تصدق النية وتقوى العزيمة فيثبتون لحوادث الدهر، وما يعترضهم من عقبات، وفي الحياة نوازع الشهوة والهوى، ودوافع الغضب والانتقام، والتقلب بين النعماء والضراء، والنزوح عن الأوطان ومفارقة الأهل والإخوان، والجهاد في سبيل الله،وفي سبيل الذود عن الحمى والكرامة .

وفي الحياة كثير من الخطوب والمشاق التي تعترض الإنسان، فما أحوجه إلى أن يتذرع بخلق الصبر ليثبت ويتحمل، وما أحوجه إلى أن يتسلح بسلاح المراقبة والاستعانة بالله والرجوع إليه، والاعتماد عليه، ومن هنا فرض الله صوم رمضان وهو شهر من اثني عشر شهراً، متتابع الأيام، ليغرس بهذا التتابع ملكة الصبر والمراقبة، ثم جعله في كل عام، ليتكرر الدرس وينمو الغرس .

---

(١) الطبراني : المعجم الكبير ـ رقم ٣٩٥ ج٢٥ ص ١٦٣. عَنْ أُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ وَدَاعٍ.

(٢) الشيخ / محمد ياسين : ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

ومن هنا أيضا وجب على الصائم أن يستمر في كل ليلة من ليالي هذا الشهر، متذرعا بالصبر متسلحا بالمراقبة فلا يسرف فيما كان محظورا عليه بصومه حتى لا ينطفئ عليه مصباح الإشراق القلبي الذي أحسه في نهاره ولا ينقطع عن التتابع الروحي ويعود إلى شره وطغيانه .

وبهذا تتحقق حكمة الله في التعبد بالصوم، ويكون الصوم مدداً قويا لجند الخير في الإنسان، به يزكو القلب وتصفو النفس، وتتهذب الروح ويصير الإنسان منبعا فياضا للخير على نفسه، وعلى بني وطنه وجنسه، ويعيش عيشة راضية سداها المحبة والوئام، ولحمتها التعاون والسلام، وبهذا يقترب من الملأ الأعلى، ويتلقى التكاليف الإلهية والواجبات الاجتماعية، بقوة لا تعرف الضعف وثبات لا يعرف الملل، وإخلاص لا يعرف الرياء، وإيمان لا يعرف الشك، فتطيب الحياة ويسعد الناس([1]) .

العلم وفوائد الصيام:

قال الله تعالى:﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢)، وقال رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلَّم ـ: « صوموا تصحوا » ([3])، للصيام فوائد كثيرة، فبالصوم تصح الأبدان، وتتخلص من كثير من الأمراض، وفوائد الصوم ليست مقصورة على الجوانب الروحية والعاطفية؛ فالعلم

([1]) الإمام الشيخ شلتوت :الإسلام عقيدة وشريعة ص١٥١ ، ١٥٢ نسخة هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الآخرة لسنة ١٤٣٦ هـ

([2]) سورة البقرة ، من الآية ١٨٤ .

([3]) أبو نعيم الأصبهاني : الطب النبوي [١٩] باب تدبير الصحة وأن الصوم مصحة رقم ١١٣ ج١ ص٢٣٦ الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م ـ الناشر دار ابن حزم ـ المحقق : مصطفى خضر التركي .

الحديث يكشف الدليل بعد الآخر على الفوائد البدنية والنفسية للصيام الإسلامي منها (١):

أولاً: الوقاية من العلل والأمراض:

قد ثبت من خلال الأبحاث الطبية بعض الفوائد الوقائية للصيام ضد كثير من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ يقوي الصيام جهاز المناعة، فيقي الجسم من أمراض كثيرة، حيث يتحسن المؤشر الوظيفي للخلايا اللمفاوية عشرة أضعاف، كما تزداد نسبة الخلايا المسئولة عن المناعة النوعية (Tlymphocytes)زيادة كبيرة، كما ترتفع بعض أنواع الأجسام المضادة في الجسم، وتنشط الردود المناعية نتيجة لزيادة البروتين الدهني منخفض الكثافة .

٢ – إن الصيام يقي من مرض السمنة وأخطارها، حيث إن السمنة تنتج عن خلل في تمثيل الغذاء، أو بسبب ضغوط بيئية أو نفسية أو اجتماعية وقد تتضافر هذه كلها في حدوث السمنة، فإنه يمكن الوقاية منها بالصوم من خلال الاستقرار النفسي والعقلي نتيجة للجو الإيماني الذي يحيط بالصائم، إضافة إلى تأثير الصيام في استهلاك الدهون المختزنة، ووقاية الجسم من أخطار أمراض السمنة كالأمراض القلبية الوعائية مثل قصور

(١) د/ عبد الجواد الصاوي : الصيام معجزة علمية ، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص ١٠٠ ، نقلا عن (هـــ . م شيلتون ، التداوي بالصوم) .

القلب والسكتة القلبية وانسداد الشرايين المحيطة بالقلب كمرض تصلب الشرايين([1]).

فالصيام الشرعي يعتبر النموذج الفريد للوقاية والعلاج من السمنة في آن واحد، حيث يمثل الأكل المعتدل، والامتناع عنه مع النشاط والحركة عاملين مؤثرين في تخفيف الوزن، وذلك بزيادة معدل استقلاب الغذاء بعد وجبة السحور وتحريك الدهن المختزن لأكسدته في إنتاج الطاقة اللازمة بعد منتصف النهار.

وبهذا يُحْدثُ الصيام الشرعي الإسلامي المتمثل في الحفاظ على وجبة السحور والاعتدال في الأكل والحركة والنشاط أثناء الصيام نظاماً غذائياً ناجحاً في علاج السمنة.

أما نظام التجويع الطويل بالانقطاع الكلي عن الطعام فيؤدي إلى هبوط الاستقلاب نتيجة تثبيط الجهاز الودي (السمبثاوي)، ويكون معظم الوزن المفقود ماءً، ويبقى الجسم مختزناً بالطاقة والأملاح ([2]) .

٣- الصيام يقي الجسم من تكون حصيات الكلى؛ إذ يرفع معدل الصوديوم في الدم فيمنع تبلور أملاح الكالسيوم، كما أن زيادة مادة

([1]) من أوجه الإعجاز العلمي في الصيام، الدكتور عبد الجواد الصاوي، نقلاً عن موقع:

http://www.nooran.org/O/1/1O4.htm

([2]) المصدر:

William F. Ganong. Review of Medicd physioloyy.ls th lange los Altos, California & Edition 1991. Appleton

البولينا في البول تساعد على عدم ترسب أملاح البول التي تكون حصيات المسالك البولية (١).

٤ ـ الصيام يقي الجسم من أخطار السموم المتراكمة في خلاياه، وبين أنسجته، من جراء تناول الأطعمة، وخصوصاً المحفوظة والمصنعة منها، واستنشاق الهواء الملوث من عوادم السيارات وغازات المصانع، وسموم الأدوية التي يتناولها الناس بغير ضابط، إلى غير ذلك من سموم الكائنات الدقيقة التي تقطن أجسامنا بأعداد تفوق الوصف والحصر، وأخيراً مخلّفات الاحتراق الداخلي للخلايا والتي تسبح في الدم كغاز ثاني أكسيد الكربون،واليوريا،والكرياتين،والأمونيا، والكبريتات،وحمض اليوريك، ومخلفات الغذاء المهضوم والغازات السامة التي تنتج من تخمره وتعفنه مثل الأندول والسكاتول والفينول(٢).

كل هذه السموم جعل الله سبحانه للجسم منها فرجاً ومخرجاً حيث يقوم الكبد وهو الجهاز الرئيس بتنظيف الجسم من السموم، غير أن للكبد جهداً وطاقة محدودة وقد يعتري خلاياه بعض الخلل لأسباب مرضية أو لأسباب خِلقية كتقدم السن، فيترسب جزء من هذه المواد السامة في أنسجة الجسم وخصوصاً في المخازن الدهنية، وفي الصيام تتحول كميات هائلة من

---

(١) د/ فاهم عبد الرحيم وآخرون. تأثير الصيام الإسلامي على مرضى الكلى والمسالك البولية ، نشرة الطب الإسلامي، العدد الرابع - أعمال وأبحاث المؤتمر العالمي الرابع عن الطب الإسلامي - منظمة الطب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦، ص٧٠٧-٧١٤ .

(٢) د / عبد الجواد الصاوي :الصيام معجزة علمية. ص ١٤٤ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ــ دار القبلة ، د/ حامد محمد حامد : رحلة الإيمان في جسم الإنسان طبعة ١٩٩١ م ــ دار القلم ــ دمشق .

الشحوم المختزنة في الجسم إلى الكبد حتى تؤكسد وينتفع بها وتستخرج منها السموم الذائبة فيها وتزال سميتها ويتخلص منها مع نفايات الجسد.

وبما أن عمليات الهدم في الكبد أثناء الصيام تغلب عمليات البناء في التمثيل الغذائي فإن فرصة طرح السموم المتراكمة في خلايا الجسم تزداد خلال هذه الفترة ويزداد أيضاً نشاط الخلايا الكبدية في إزالة سمية كثير من المواد السامة وهكذا يعتبر الصيام شهادة صحية لأجهزة الجسم بالسلامة .

يقول الدكتور (ماك فادون) وهو من الأطباء العالميين الذين اهتموا بدراسة الصوم وأثره: "إن كل إنسان يحتاج إلى الصوم وإن لم يكن مريضاً؛ لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم فتجعله كالمريض وتثقله فيقل نشاطه، فإذا صام الإنسان تخلص من أعباء هذه السموم وشعر بنشاط وقوة لا عهد لـه بهما من قبل" (١).

٥ ـ يخفف الصيام ويهدئ ثورة الغريزة الجنسية، وبذلك يقي الجسم من الاضطرابات النفسية والجسمية؛ لذلك أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشباب الذين لا يستطيعون الزواج بالصوم فقال ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ »(٢).

---

(١) نجيب الكيلاني : الصوم والصحة الطبعة الأولى ١٩٧٨ م مؤسسة الرسالة، بيروت .، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني : نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان ج٢ ص٢٣٣ ، ٢٦٥ قدم له : أبو بكر الجزائري ، محمد صفوت نور الدين ، توزيع : دار ماجد عسيري ـ جدة .

(٢) صحيح مسلم ـ١ بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، رقم ٣ ـ (١٤٠٠) ج٢ ص١٠١٩ .

فالإكثار من الصوم مثبط للرغبة الجنسية وكابح لها، وقد ثبت هبوط مستوى هرمون الذكورة (التيستوستيرون)، هبوطاً كبيراً أثناء الصيام المتواصل، بل وبعد إعادة التغذية بثلاثة أيام، ثم ارتفع ارتفاعاً كبيراً بعد ذلك، وهذا يؤكد أن الصيام له القدرة على كبح الرغبة الجنسية مع تحسينها بعد ذلك، وهذا يؤكد فائدة الصوم في زيادة الخصوبة عند الرجل بعد الإفطار(١).

٦- الصيام يعتبر وقاية من الأمراض العقلية والنفسية، فقد ثبت تأثيره على مرضى انفصام الشخصية، وقد أشار إلى ذلك الدكتور يوري نيسكولايوف من المعهد النفسي بموسكو بقوله: "إلا أن الأمراض العقلية يمكن السيطرة عليها بمفعول الصيام والحمية"، وقد تبين عند مراجعة ألف مريض عقلي التزموا الصيام أن التحسن كان ملحوظاً لدى ٦٥% منهم، وقد وقع فحص لنصف هؤلاء المرضى بعد ٦ سنوات، واتضح أنهم لا يزالون يتمتعون بصحة جيدة، كما أن (الآن كوت) قد ألزم ٣٥ مريضاً ومريضة ببرنامج صيام وتخلص ٢٤منهم من أمراضهم (٢).

---

(١) (Husan Nastrat and Mansour Suliman, Effect of Ramadan fasting on plasma progeserone and prolactin. Islamic international conferance on Islamic legalation & the Current Medical problms 2-3 Fib 987 Cairo - Egypt)) S.M.A. Abbas and A. H. Basalamah Effects of Ramadan Fast on Male Fertility (1986) , Archives of Andrology, 16: 161 - 166).

(٢) د / الآن كوت : دراسة حول الصوم الطبي، النظام الغذائي الأمثل الطبعة الثانية ١٩٨٧م مؤسسة الإيمان، بيروت.

ثانيا: بعض الأمراض التي يعالجها الصيام:

إن الصوم وسيلة فعالة للشفاء لعدد من الأمراض الخطيرة أهمها:

أ ـ يعالج الأمراض المصحوبة بقيء أو إسهال أو ارتفاع في درجة الحرارة، حيث يتيح التجويع راحة لخلايا الجسم ويعطيها الفرصة لكي تتخلص من سمومها وتقوي مناعتها.

ب ـ الأمراض الناتجة عن السمنة: كمرض تصلب الشرايين، وضغط الدم، وبعض أمراض القلب.

ج ـ يعالج بعض أمراض الدورة الدموية الطرفية مثل: مرض الرينود، ومرض برجر.

د ـيعالج الصيام المتواصل (الطبي) مرض التهاب المفاصل المزمن (الروماتويد).

هـ ـ يعالج الصيام الإسلامي ارتفاع حموضة المعدة، وبالتالي يساعد في التئام قرحة المعدة مع العلاج المناسب.

فوائد أخرى تجنى بالصوم:

١ ـ يمكن الصيام آليات الهضم والامتصاص في الجهاز الهضمي وملحقاته من أداء وظائفها على أتم وأكمل وجه، وذلك بعدم إدخال الطعام والشراب على الوجبة الغذائية، أثناء هضمها وامتصاصها.

كما يتيح الصيام راحة فسيولوجية للجهاز الهضمي وملحقاته، وذلك بمنع تناول الطعام والشراب لفترة زمنية، تتراوح من ٩ – ١١ ساعة بعد امتصاص الغذاء كما تستريح آليات الامتصاص في الأمعاء طوال هذه

الفترة من الصيام، وتتمكن الانقباضات الخاصة (Migrating Motor Complex) بتنظيف الأمعاء، من عملها المستمر دون توقف [1].

٢ ـ ينشط الصيام آليات الاستقلاب أو التمثيل الغذائي في البناء والهدم للجلوكوز والدهون، والبروتينات في الخلايا، لتقوم بوظائفها على أكمل وجه.

أما إذا اقتصر الجسم على البناء فقط، وكان همه التخزين للغذاء في داخله، فإن آليات البناء تغلب آليات الهدم، فيعتري الأخيرة – لعدم استعمالها بكامل طاقتها –، وهن تدريجي، تظهر ملامحه عند تعرض الجسم لشدة مفاجئة، بانقطاع الطعام عنه في الصحة، أو المرض، فقد لا يستطيع هذا الإنسان مواصلة حياته، أو مقاومة مرضه .

٣ – الصيام يقاوم الشيخوخة: كشفت مجلة الطبيعة (Nature) البريطانية "[2] عن دراسة علمية تفيد أن التجويع المخطط أو الجزئي – الصيام– يؤدي إلى تنشيط الجينات المسئولة عن إفراز هرمونات تساعد الخلايا في مواجهة زحف الشيخوخة على الإنسان وتزيد من حيوية ونشاط الجسم، وأكدت نتائج هذه الدراسة أن عملية التمثيل الغذائي وهضم الطعام تنتج مواد سامة تتلف الخلايا، وأن الإقلال من كمية الطعام والإكثار من الحركة لحرق الطاقة يحسن من الوضع الصحي ويوقف عملية الهدم، وبالتالي تزيد من إمكانية رفع متوسط العمر، وأوضحت الدراسة أن الصيام الجزئي عن الطعام والتجويع المخطط قد يؤدي إلى رد

---

(١) (M.Y. Sukkar, H. A. El-Munshid & M.S. M. Ardawi 1993, " Concise Human Physiology" Blackwell Scientific Publication, Oxford, pp 175 - 181).

(٢) مجلة Nature البريطانية السبت الموافق ٢٥/ ١١/ ٢٠٠٠م. .

فعل يجعل الخلايا تقاوم الموت وتعيش فترة أطول، وأضافت الدراسة أن مفتاح الصحة يتمثل في الحد من الطعام (الجوع الجزئي أو المخطط) في نظام غذائي مدى الحياة بقدر الإمكان مما يؤثر إيجابياً ويساعد على مقاومة الشيخوخة.

٤ ـ يستفيد الإنسان من العطش أثناء الصيام استفادة كبيرة، حيث يساعد في إمداد الجسم بالطاقة، وتحسين القدرة على التعلم، وتقوية الذاكرة .

أ- هناك علاقة بين العطش وبين تحلل الجليكوجين إذ يسبب العطش إفراز جرعات من هرموني الانجوتنسين والهرمون القابض للأوعية الدموية، اللذين يسببان تحلل الجليكوجين في إحدى مراحل تحلله بخلايا الكبد، فكلما زاد العطش زاد إفراز هذين الهرمونين بكميات كبيرة مما يساعد في إمداد الجسم بالطاقة خصوصاً نهاية اليوم.

ب- كما أن العطش أثناء الصيام لـه فوائد عديدة بطريق مباشر أو غير مباشر نتيجة لزيادة مادة البروستجلاندين حيث يمكن أن يقوم بتحسين الآتي:

*- تحسين كفاءة خلايا الدم. *- حماية الجسم من قرح المعدة.

*- المشاركة في علاج العقم. *- تسهيل الولادة.

*- تحسين الذاكرة. *- تحسين آليات عمل الكلى.

٥ ـ يبث الصيام في النفس السكينة والطمأنينة، وينعكس هذا بدوره على آليات الاستقلاب فيجعلها تتم في أوفق وأيسر وأنفع السبل، مما يعود بالنفع والفائدة على الجسم .

إن الصيام كاقتناع فكري وممارسة عملية، يقوي لدى الإنسان كثيراً من جوانبه النفسية، فيقوي لديه الصبر، والجلد، وقوة الإرادة، وضبط النوازع

والرغبات، ويضفي على نفسه السكينة والرضا والفرح... وقد أخبر بذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: « لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ » (١).

٦ ــ ثبت بالدليل العلمي القاطع أن الصيام الإسلامي ليس له أي تأثير سلبي على الآداء العضلي وتحمل المجهود البدني، بل بالعكس أظهرت نتائج البحث القيم الذي أجراه الدكتور أحمد القاضي وزملاؤه (دليل جديد على الإعجاز العلمي لحديث« صوموا تصحوا » (٢)، وآية ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣) بالولايات المتحدة الأمريكية أن درجة تحمل المجهود البدني وبالتالي كفاءة الآداء العضلي قد ازداد بنسبة ٢٠٠% عند ٣٠% من أفراد التجربة، و٧% عند ٤٠ %منهم، وتحسنت سرعة دقات القلب بمقدار ٩%، كما تحسنت درجة الشعور بإرهاق الساقين بمقدار ١١%(٤).

وهذا يبطل المفهوم الشائع عند كثير من الناس من أن الصيام يضعف المجهود البدني، ويؤثر على النشاط فيقضون معظم النهار في النوم والكسل.

وأخبرنا جل في علاه أن في الصيام خيراً ليس للأصحاء المقيمين فقط، بل أيضاً للمرضى والمسافرين، والذين يستطيعون الصوم بمشقة، ككبار السن

---

(١) صحيح مسلم ١٣ - كِتَاب الصِّيَامِ ٣٠ - بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ ـ رقم ١٦٤ ـ (١١٥١) ج٢ ص٨٠٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

(٢) الأصفهاني :الطب النبوي ـ رقم ١١٣ ج١ ص٢٣٦ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية ١٨٤ .

(٤) د. أحمد القاضي - معهد الطب الإسلامي للتعليم والبحوث -بنماسيتي - فلوريدا - الولايات المتحدة

ومن في حكمهم، فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ولم يعرف الأطباء فوائد الصوم الطبية إلا في القرن العشرين بعد أن تقدمت البحوث العلمية الغذائية وتوفرت الأجهزة الدقيقة التي كشفت الكثير من أسرار الجسم البشري مشتملة على أسرار وتفاعلات الغذاء في الجسم، فمن أخبر محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن في الصيام وقاية للإنسان من أضرار نفسية وجسدية؟ ومن أخبره أن فيه منافع وفوائد يجنيها الأصحاء؟ بل ومن يستطيع الصيام من المرضى وأصحاب الأعذار !! ومن أخبره صلى الله عليه وسلم بأن الصيام سهل ميسور، لا يضر بالجسم ولا يجهد بالنفس؟ ومن أطلعه على أن كثرة الصوم تثبط الرغبة الجنسية؟ وتخفف من حدتها وثورتها خصوصاً عند الشباب !! فيصير الشاب آمناً من الاضطرابات الغريزية النفسية، ومحصناً ضد الانحرافات السلوكية !! وخصوصاً أنه نشأ في بيئة لا تعرف هذا الصيام ولا تمارسه " .إنه الله.. آمنت بالله" (٢).

---

(١) سورة البقرة،من الآية: ١٨٤ .

(٢) د. أحمد القاضي : معهد الطب الإسلامي للتعليم والبحوث، بنما سيتي، فلوريدا الولايات المتحدة الأمريكية : دليل جديد على الإعجاز العلمي في الصيام ، الدكتور عبد الجواد الصاوي : الصيام والمناعة ، في إحدى الدراسات العلمية التي نشرت مؤخراً ، الدكتور عبد الجواد الصاوي: معجزة الصيام، د. حكمت عبد الكريم فريحات : الوجيز في علم وظائف الأعضاء ص ٢٠١ ــ ٢٣٣ الطبعة الأولى ١٩٨٦ م دار البشير، عمان ، الشيخ عبد المجيد الزنداني: الإعجاز العلمي في الصوم عن صحيفة صوت الإيمان ، نشر يوم الخميس ١٢ أغسطس ـ آب ٢٠١٠ م .

الإهداء

المبحث الرابع:

كشف شبهة الملاحدة في أن مناسك الحج بقايا وثنية صريحة.

يقول الملاحدة:إن مناسك الحج وثنية صريحة، فالبناء الحجري الذي تسمونه الكعبة وتتمسحون به وتطوفون حوله، ورجم الشيطان، والهرولة بين الصفا والمرورة وتقبيل الحجر الأسود، والسبع طوفات، والسبع رجمات، والسبع هرولات هي بقايا من خرافة الأرقام الطلسمية في الشعوذات القديمة، وثوب الإحرام الذي تلبسونه على اللحم (١).

ولكشف هذه الشبهة نقول:

إن كثيراً من المسلمين يؤدون مناسك الحج بعفويةٍ إيمانيةٍ ولا يفهمون معناها ولا أبعادها ولا مدلولاتها كما أنّ بعض المستشرقين ومدعي الاستنارة يصفون الحج بأنّه بقايا وثنية في الإسلام معللين بأنّك تقبل حجراً وترجم حجراً وأعتقد أنّ معظم شباب هذه الأيام لا يعرفون دلالة مناسك الحج أو لماذا فرض الله على المسلمين أداءها بهذه الطريقة،إلا أننا يمكن أن نوضح هذه المدلولات من خلال العناصر التالية:

أولاً: ملابس الإحرام :

هي رمز للتجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله، ورحلة من البدايات إلى النهايات، فقد ولدنا كلنا عرياً، فعندما ترتدي ملابس الإحرام تتجرد من كل شيء ويتساوى الغني مع الفقير، والكل سواسية أمام الله، فالإنسان يولد على الفطرة

(١) د/ مصطفى محمود : حوار مع صديقي الملحد ص١١٣.

ويداه مضمومتان، ويموت ويداه مبسوطتان لم يجمع فيها إلا ما قسمه الله له (١).

ثانياً: الطواف:

إن الطواف حول الكعبة من مميزات الإسلام بين الأديان، فقد يحج أهل بعض الأديان الأخرى إلى محج لهم، ولكن ليس في حج غير الإسلام طواف،والطواف ببيت الله مطلوب في غير الحج والعمرة ممن حضر البيت، إذ تحية المسجد ركعتان في غير المسجد الحرام، وتحية المسجد الحرام الطواف .

والكعبة التي جعلها الله للناس مطافاً في الحج، جعلها الله للناس قبلة في الصلاة .

فالطواف جزء من كل يمثل الجاذبية التي ينبغي أن تكون بين العبد وبين بيت الله، يستقبله الإنسان ويتجه إليه في صلاته خمس مرات كل يوم وهو بعيد عنه، فإذا ما استطاع الحج إليه مرة في العمر استقبله في صلاته أيضاً كما كان، وزاد على ذلك الطواف .

فالطواف دوران القلب حول قدسية الله، صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم، الذي ترى نعمه، ولا تدرك ذاته (٢).

الطواف والعلم الحديث:

---

(١) الإمام الشيخ / محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ص١٧٤ ، د/ مصطفى محمود : حوار مع صديقي الملحد ص١١٣ـ ١١٦ .

(٢) د/ مصطفى محمود : حوار مع صديقي الملحد ص١١٣، الإمام الشيخ / محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ص١٧٤ هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الآخرة لسنة ١٤٣٦ هـ .

الناس لا يجدون صعوبة في التماس حكمة لفرض قبلة واحدة عليهم في الصلاة، وأن تكون تلك القبلة بيت الله، لكنهم فيما يبدو قد عجزوا عن إدراك حكمة الطواف بالبيت، فجعلوه أمراً تعبدياً لا يعرفون لها حكمة إلا النزول على حكم الله بالطاعة والتسليم، لكن العلم الحديث يبين لنا إدراك حكمة الطواف، وقد يسأل سائل أي صلة بين الطواف في الحج وبين العلم الحديث الذي لا يبحث إلا في الماديات ؟

لكن السؤال ليس من النوع العبث الذي لا يمكن أن يؤدي إلى جواب معقول كما يبدو، فإن العلم يبحث عن أسرار الفطرة، وفاطر الفطرة سبحانه هو الذي تعبد الإنسان بالطواف بالبيت الحرام، فليس بممتنع أن يكون الطواف رمزاً إلى سر عظيم تستوي فيه الروح والمادة، وأن يكون فيما كشف عنه العلم من أسرار الفطرة ما يدل عليه أو يشير إليه .

ولا يكاد الناظر يتجه هذا الاتجاه حتى ينكشف له فيما كشف العلم عنه من حقائق الفطرة نظائر للطواف، ثم تتكاثر عليه النظائر حتى ليوقن أنها مظهر لسنة عامة في الخلق، أهم وأجل كثيراً في دلالتها مما يخطر لأول وهلة على بال .

وأول ما يلقي الناظر من تلك النظائر يلقاه في المجموعة الشمسية: فالأقمار فيها تدور ـ أو تطوف ـ حول كواكبها، فالقمر يدور حول الأرض، وأقمار المشترى تدور حول المشترى، والأرض وأخواتها من السيارات تدور وأقمارها حول الشمس دورانا متصلا، يختلف حقا باختلاف كتلة السيار وبعده من الشمس، لكن مهما يكن الاختلاف في الكيف والمدار فالدوران أو الطواف حول الشمس واقع من كل سيار .

وقد بين علم الفلك الحديث مبلغ انتشار ظاهرة الطواف هذه بين الكواكب فرادى وجماعات وعوالم، فكم من كوكب يطوف ويدور حول كوكب، توائم

وغير توائم، وعالم المجرة الذي منه مجموعتنا الشمسية يدور، بل العالم الفلكي كله ــ كما يشرح السير جيمز جينز في كتابه " النجوم في مسالكها " (١)،ــ يدور، أو يبدو أنه يدور، دوراناً بطيئاً هائلا حول مركز، كما تدور عجلة حول مركزها، أو بالأحرى حول مجمع المحاور فيها، وفي ذلك الكتاب يجد القاريء المثل بعد المثل والتفصيل بعد التفصيل، فليرجع من يشاء من القراء المتشوقين إلى الكتاب لينظر مبلغ انتشار ظاهرة الطواف في السماء، كأنما هي مظهر سنة عليا فطر الله عليها السموات .

فإذا ما تركنا العالم الفلكي جانبا وانتقلنا إلى العالم الذري، وجدنا الأمر أعجب وأغرب، أو هكذا يخيل إلى من يستثير الدقيق من تعجبه أكثر مما يستثير الجليل، والذرة لم يرها أحد قط، ولا يطمع في رؤيتها بالذات أحد، لبلوغها في الدقة والصغر غاية تقطع عن إمكان رؤيتها الأطماع، لكنها مع ذلك لا يشك أحد من المشتغلين بالعلم في وجودها، ولا أن في باطنها عالم مائج عجيب.

والعلماء المحدثون يشبهون الذرة بالمجموعة الشمسية، فهي جلها فراغ تتوسطه نقطة مادية يتمركز فيها ثقل الذرة ووزنها تسمى نواة الذرة، ويدور حولها في ذلك الفراغ العظيم بالنسبة لها عدد من الكهيربات أخف كثيراً من النواة، كل كهيرب ـ كما قد يدل عليه اسمه ـ وحدة من الكهربية السالبة الخاصة، ولكنها في مجموعها تكافئ بالضبط ما تحمل النواة من كهربية موجبة، أي أن كل نواة في ذرة عنصر تحمل من شحنات أو وحدات الكهربية الموجبة قدر عدد الكهيربات التي حولها .

---

(١) نقله إلى العربية الدكتور / أحمد عبد السلام الكرداني ، وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر ..

وكان من شأن الكهربيتين هاتين أن يتحدا للتجاذب العظيم بينهما، لولا أن فاطر الفطرة وخالق الذرة سبحانه قضى للمادة بالوجود، فمنع ذلك الاتحاد بين كهيربات الذرة ونواتها بحركة أنشأها وقدرها في الكهيربات حول النواة، كما أنشأ وقدر في كل سيارة وفي كل قمر حركة حول شمسه أو حول كوكبه تحول دون سقوط السيار في الشمس أو القمر على الأرض، أو بالأحرى أنشأ الخالق البديع في كل كهيرب وفي كل سيار وفي كل قمر حركة فرار وابتعاد عن النواة أو الشمس أو الكوكب الذي يجذبه، وقدر الحركتين إلى داخل أو خارج بحيث تكون نتيجتهما طواف الضئيل حول الجليل، ودوران الكهيرب حول النواة، والأرض حول الشمس، والقمر حول الأرض .

والآن ما رأيك في انتشار ظاهرة الطواف هكذا في الفطرة من الذرة إلى المجرة وما فوقها ؟ تذكر أن كل ذرة من مادة في الكون فيها طائف ومطوف به، وأن ذلك كله في باطن الذرة تقوم عليه بنيتها وذاتيتها، ولا سلطان لمخلوق عليه، كما لا سلطان لمخلوق على دوران الأقمار حول كواكبها، ولا السيارات حول شموسها في الكون الشاسع العظيم، ثم تذكر أن في كل حالة من تلك الحالات في العوالم الذرية والفلكية، المطوف به دائما واحد والطائف كثيراً ما يتعدد، ففي كل ذرة نواة واحدة تطوف بها الكهيربات قلت أو كثرت، وفي كل مجموعة شمسية شمس واحدة تطوف بها سياراتها، قلت أو كثرت كذلك، والعالم المجري بملايين شموسه وكواكبه يدور أو يطوف حول شيء واحد، والكون كله بالألوف المؤلفة من عوالمه المجرية يبدو أنه يدور أو يطوف حول شيء واحد لا يدري ما هو، وتوحد المطوف به في كل حالة مع تعدد الطائفين في الكثرة الغالبة

من الأحوال يريك وجه الشبه واضحاً بين الطواف الذي هو من قوام الحج، وبين ظاهرة الطواف التي فطر الله عليها الكون (١).

ولاحظ بعض العلماء أن في الطواف إعجاز علمي نوجزه في النقاط التالية:

١- أن طواف الحاج حول الكعبة حاجا مرة واحدة في العام يشبه دوران الأرض حول الشمس مرة واحدة كل عام،وأن طواف الحاج حول الكعبة ٧ مرات يشبه دوران الكواكب السبعة السيارة حول الشمس.

٢- أن طواف الحاج أو المعتمر حول الكعبة يحكي حركات ما في هذا الكون من أصغر شئ وهي الذرة إلى أكبر شئ وهي المجرة .

ففي قوانين المادة أن الأصغر يطوف حول الأكبر، الإلكترون في الذرة يدور حول النواة، والقمر حول الأرض، والأرض حول الشمس، والشمس حول المجرة، والمجرة حول مجرة أكبر، إلى أن نصل إلى الأكبر مطلقا، وهو الله .....ألا نقول " الله أكبر " أي أكبر من كل شيء، وبالتالي وحسب القانون العلمي يجب أن يطوف حوله كل شيء .. وأنت الآن تطوف حوله ضمن مجموعتك الشمسية برغم أنفك ولا تملك إلا أن تطوف فلا شيء ثابت في الكون إلا الله هو الصمد الصامد الساكن والكل في حركة حوله .. وهذا هو قانون الأصغر والأكبر الذي نتعلمه في الفيزياء ...أما نحن فنطوف باختيارنا حول بيت الله .. وهو أول بيت اتخذه الإنسان لعبادة الله .. فأصبح من ذلك التاريخ البعيد رمزاً وبيتا لله ..

---

(١) د/ محمد أحمد الغمراوي : الإسلام في عصر العلم ص ٥٦ ـ ٦٠ الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م مطبعة السعادة ـ إعداد الدكتور / أحمد عبد السلام الكرداني .

والكعبة هي مركز الأرض:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (١)، فالأمر يدل على أن مكة هي مركز الأرض وأن إشعاع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابد أن يساوي بين جميع الجهات، فالأرض بيضاوية ومركزها عبارة عن مثلث وليس نقطة ومكة شكلها مثلث، هكذا أثبتت صور سفن الفضاء، وبعد أن صعدوا إلى الفضاء الخارجي ظهرت حقيقة أخرى مهمة جدا، فالكون يتحول إلى عتمة بعد مائتي كيلو، لأن الظلام هو الأساس في الكون، يقول سبحانه:﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (٢)، و﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا .وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٣).

ورواد الفضاء عندما صعدوا إلى أعلى رأوا وسط هذه العتمة وهذا الظلام الحالك شعاعا ضوئيا يصدر من الأرض، نظروا إلى أسفل فوجدوه صادراً من مكة، وتتبعوه في مكة فوجدوه صادراً عن بيت الله الحرام، رفعوا رؤوسهم إلى أعلى حيث نهاية الإشعاع، فوجدوه مستمرا ضاربا في أعماق الكون والفضاء بلا منتهى.

فبيت الله الحرام هو قرار له مغزاه وحتى الحمائم والطيور تلف حول البيت ولاتطير فوقه فالطيور ترى ما لا نراه فنحن نرى من اللون الأحمر إلى اللون البنفسجي أي من ٤٠٠ ألف مليون ذبذبة في الثانية إلى ٧٠٠ ألف مليون ذبذبة في الثانية وخارج هذه الحدود فنحن لا نرى شيئا ولذلك

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٧ .

(٢) سورة يس، من الآية : ٣٧ .

(٣) سورة النازعات، من الآية : ٢٧ ــ ٢٩.

يقول الحق سبحانه: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ *وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١)، فنحن نرى جزءا من عشرة ملايين جزء، فالكعبة هي مركز الأرض والدوران والطواف يبدأ من هذا المركز .

٣- أن طواف الحاج حول الكعبة ٧ مرات في حركة دائرية من اليسار إلى اليمين تشبه حركة الكترونات الذرة في مسارتها السبعة حول النواة، حيث إن النواة حولها سبعة مستويات من الطاقة وهي: k, L, M, N, O, P, Q وهي نفس عدد أشواط الطواف حول الكعبة.

ورقم سبعة له أسراره فأصغر الذرات حجما وهي الأيدروجين لو قمت باستشارة الإلكترون فيها ستدور في سبعة مستويات طاقة، وأكبر الذرات حجما مثل اليورانيوم يدور أيضا في سبعة مستويات طاقة فهناك أسرار كثيرة لرقم سبعة، فنحن فوق ٧ أرضين وتحت ٧ سماوات، وكذلك تدور الإلكترونات حول نواة الذرة في نطاقات ٧، والجنين لا يكتمل إلا في الشهر ٧ وإذا ولد قبل ذلك يموت وأيام الإسبوع عندنا وعند جميع أفراد الجنس البشري ٧ أيام وضعوها كذلك دون أن يجلسوا ويتفقوا، والأهم أن هناك سبعة أبواب لجهنم ومع كل طواف وشوط حتى تأتي إلى الملتزم وهو التزام الله بأن يعتق الرقاب من النار تغلق بابا من أبواب جهنم بالنسبة لجسدك، فالطواف تناغم وتوافق مع حركه الكون في السماء وفي الأرض وفي جسم، فالإسلام جاء ليعيد اتزان الإنسان مع الطبيعة من حوله وأنت تتوافق مع حركة الكون بالطواف حول الكعبة (٢).

---

(١) سورة الحاقة ، الآيات : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) د/ عبد الباسط سيد: أستاذ الفيزياء الحيوية الجزيئية وعضو هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة : إعجاز مناسك الحج الاثنين ٢٣ ذو القعدة ١٤٢٨ الموافق 03 ديسمبر ٢٠٠٧م ، الدكتور عبد الله المصلح في هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة حول هذا الموضوع.

٤- أن النظام الدقيق البديع في حركة الكواكب والنجوم والأجرام السماوية والالكترونات الذرة وغيرها دون توقف أو اختلال وخلل في هذا النظام المحكم البديع ومنذ الأزل وحتى الآن، ليؤكد بأن الخالق لكل ذلك هو سبحانه الواحد الأحد مُشَرِّع الحج كفريضة أرادها أن تساير نظام مخلوقاته ونمطيتها المدهشة في الحركة والدوران (١).

أذن الكون كله يدور، الكون كله يطوف الإلكترونات تطوف حول الأنوية الموجبة في الذرة وحتى الحجر المسمط تطوف إلكتروناته حول النواة، وفي جسمك لا يتوقف طواف الإلكترونيات حول الأنوية في الذات، ونحن كبشر جزء من الكون لابد أن نطوف حول البيت الذي بنته الملائكة وأعاد سيدنا آدم بناءه ثم سيدنا إبراهيم، قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ (٢) .

ومن ثم يتجلى لنا تطابق النصوص الدينية الإسلامية مع نظام المادة، مما يُدلِّل على أن الإله الخالق لهذه المادة المتكونة من الذرات هو الذي أنزل الدين الحق على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي يتجلَّى فيه ناموس الكون، ألا وهو الإسلام.

ثالثاً: الحجر الأسود :

الحجرٌ الأسود من الجنة وكان دُرَّة بيضاء فسوَّدته ذنوب البشر، كما أنّه من أحسن وأفضل أنواع أشباه الموصلات في الكون، يسجل اسم من قبّله أو أشار إليه أو استلمه في سجل التشريفات الإلهية،حاجا أو معتمراً،

---

(١) عبد الدائم الكحيل : الإعجاز العلمي في الحج بتاريخ ١٣ / ١٠ / ٢٠١٣ م البوابة الدينية .

(٢) سورة البقرة ، من الآية ١٢٧ .

"يكتب اسمه في المرة الأولى ثم يضع علامات معينة بعدد مرات حجه واعتماره"!! طبيعة هذه المادة تثبت أنّه ذاكرة من صنع الخالق وليست من صنع البشر، ومن صفات الحجر أنّه صلب جدا وغير قابل للتآكل ، ويطفو على سطح الماء، وعند التسخين يمتص الحرارة ولا يصدرها، فلا نشعر بسخونة الحجر ولا يتأثر بالأشعة مثل الليزر، ورغم تعرض الحجر للكسر وعدة محاولات لإحراقه إلا أنّها لم تؤثر على طبيعته، وأنه ليس له مثيل وإن كان من مجموعة أنصاف النواقل، وفي هذا حكمة بليغة أنّ نتواضع أمام علم الله القدير على كل شيء والذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ألا يدل ذلك على شيء ... أم أن كل هذه العلوم هي الأخرى شعوذات طلسمية ؟ .

وأشباه الموصلات قلبت موازين وسائل الموصلات في العالم، فكل التقدم الذي حدث في العالم نتيجة لاكتشاف أشباه الموصلات التي حولت الأجهزة الضخمة إلى أجهزة صغيرة، وأشباه الموصلات مثل الفيبر جلاس الذي نصنع منه خطوطا للتليفون مع الفارق فقطعة صغيرة في حجم الحمصة من الحجر الأسود أكبر من ١٠ مرات من قدرة مادة الفيبر جلاس في حجم خرطوم مطافي ينقل مليون خط تليفون، فما بالنا بقدرة الحجر كله على التسجيل والتوصيل، أنها قدرة الله أحسن الخالقين، وهكذا يعلمنا الله أن نتواضع أمام علمه الواسع الفياض الذي وضع في بيتة المحرم حجرا واحدا من أحجار الجنة لدية طاقة تسجيل تفوق طاقة كل أشباه الموصلات على الأرض .

رابعا: السعي بين الصفا والمروة :

السعي بين الصفا والمروة إشارة إلى أن الأرض عبارة عن قطبين مغناطيسيين شمالي وجنوبي، والصفا والمروة هما المغناطيس المصغر للكرة الأرضية،وأنة شحن للإنسان الذي يسعى بين الصفا والمروة أي نفس القوة المغناطيسية في الكرة الأرضية هي نفس القوة الموجودة بين الصفا والمروة لكنها مصغرة، فأنت تشحن مغناطيسيا بالسعي بين الصفا والمروة، ثم تهرول عند منطقة الزوال المغناطيسي التي تقبل القوة المغناطيسية أو تنعدم بين القطبين المغناطيسيين،وبعد هذا الشحن الذي اكتسبه من السعي بين الصفا والمروة أما أن تحلق وأما إن تقصر.

بدليل أن المسيخ الدجال عندما يظهر على الأرض لا يستطيع أن يدخل مكة ويقف على مشارف المدينة،لأنه يقيم عند التقاء الماء البارد مع الماء الساخن،وقيل إنه في مثلث برمودا حيث يحصل على الطاقة اللازمة لشحنة، لكنة أي المسيخ الدجال يفقد طاقته وقوته هذه بسبب الشعاع الصادر من الكعبة وبسبب المجال المغناطيسي الموجود في الصفا والمروة.

خامسا: الوقوف بعرفة:

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال إن الشيطان يكون أحقر ما يكون في عرفة ولذا يحقد على الحجاج،لأنه يضلهم طوال السنة ويغفر الله لهم ذنوبهم في يوم عرفة،عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ــ قال: « مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ

مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادُوا هَؤُلَاءِ؟ » (١)، **ففي عرفة نغتسل من ذنوبنا، ثم بعد ذلك يذهب إلى المشعر الحرام، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ﴾** (٢).

وبعد ذكر الله يذهب إلى منى ليرمي جمرة العقبة، وهو المكان الذي تعرض فيه إبليس لسيدنا إبراهيم وهو ذاهب لذبح ابنه إسماعيل فرجمه سيدنا إبراهيم بحجر ليبعده عن طريقه، أنت ترمي حظ الشيطان منك بحجر، فأنت ترجع من هناك وليس للشيطان عليك سبيل، فما الرمي إلا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر، ونزعات النفس (٣).

سادسا: المبيت بمنى :

بعد رمية جمرة العقبة في يوم العاشر ينزل الحاج مكة ليطوف طواف الإفاضة الركن،ثم يقصر ويذبح ثم يعود للمبيت في منى كي يرمي في ثاني أيام النحر الحادي عشر، اليوم الأول من أيام التشريق الجمرات الثلاث، الصغرى فالوسطى فالكبرى، بعد الزوال مبتدئا بالتي تلي مسجد الخيف كل جمرة بسبع حصيات، ويقف يدعو عقيب رمي الصغرى والوسطى بما شاء، ولا يقف بعد الكبرى، ويفعل ذلك في اليوم الثاني عشر، فكأنه يدرب نفسه على مقاومة حظ الشيطان في نفسه،وبذلك

---

(١) الحاكم : المستدرك على الصحيحين رقم ١٧٠٥ ج١ ص٦٣٦ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ١٩٨

(٣) الإمام الشيخ / محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ص١٧٥ نسخة هدية مجلة الأزهر .

ينتهي حجه إذا تعجل في يومين ولا إثم عليه، إذا خرج من منى قبل غروب الشمس.

فالحج استشعار حقيقي لمشاهد يوم القيامة حيث الازدحام الشديد في لباسٍ شبه عارٍ وسماعٍ لآذانٍ يشبه النفخ بالصور، الكل في خشيةٍ ووجِلٌ من الله الواحد الأحد، ذهولٌ وبعدٌ عن الدنيا، طمعٌ في المغفرة والثواب والصفح من الله، كما أنّه يقوي صلة العبد بربه، ويقوي أواصر الوحدة الإسلامية والمحبة بين المسلمين (١).

وللحج فوائد أكثر من أن تحصى، نذكر منها:

١ ــ يؤكد علماء البرمجة اللغوية العصبية أن الذي يُنهك قوى الإنسان هو كثرة الهموم والمشاكل التي يتعرض لها في حياته، وأن أفضل طريقة لإعادة التوازن له هو أن يفرّغ هذه "الشحنات السلبية" المتراكمة بفعل الأحداث التي يمر بها، وعملية التفريغ هذه ضرورية ليتمكَّن الإنسان من العيش حياة أفضل وليستطيع استثمار طاقاته بشكل أفضل، والحج هو أفضل وسيلة لتحقيق ذلك، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ (٢).

٢ــ إن رحلة الحج من أفضل الرياضات على الإطلاق، ففيها رياضة المشي،ورياضة التأمل، ورياضة الخشوع، وجميع هذه الأنواع مفيدة للجسد، ويؤكد العلماء أن التأمل إستراتيجية رائعة لتنظيم عمل الجسم والقضاء على

---

(١) د/ عبد الباسط سيد: أستاذ الفيزياء الحيوية الجزيئية وعضو هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة : إعجاز مناسك الحج الاثنين ٢٣ ذو القعدة ١٤٢٨ الموافق 03 ديسمبر ٢٠٠٧م ، الدكتور عبد الله المصلح في هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة حول هذا الموضوع.

(٢) سورة الحج ، من الآية : ٢٨ .

مختلف الاضطرابات النفسية والعصبية، فرياضة المشي تقي من الأمراض وعلى رأسها أمراض القلب، ورياضة التأمل تحسن القدرات العقلية وتكسب الجسم قدرة أفضل على النوم براحة تامة، ويزيد القدرة على الإبداع والقدرة على حل المشاكل، وزيادة النشاط العصبي للدماغ، كذلك فإن التأمل يزيد إفراز بعض المواد الكيميائية في الدماغ والتي تؤدي إلى إطالة العمر، والذي يعيش رحلة الحج يلاحظ أنها رحلة مليئة بالتأمل والتفكر ومحاسبة النفس والدعاء إلى الله تعالى، كما تؤكد بعض الدراسات الإسلامية أن رحلة الحج تزيد من قوة النظام المناعي للجسم وتمنح المؤمن مزيداً من القوة والصحة، فهي رحلة مليئة بالفوائد فهي علاج وشفاء ومتعة للجسد والروح، وسبحان الله القائل:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ (١).(٢).

(١) سورة الحج ، من الآية : ٢٨ .

(٢) فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي: الخطبة الإذاعية (٢٧) : خ١ - أحكام الحج، خ٢ - الإعجاز العلمي في قوله تعالى من كل فج عميق. بتاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٩٣م .

الفصل الثاني :

كشف الشُبه الفقهية للملاحدة في الأحوال الشخصية في ضوء الشريعة الإسلامية والعلم الحديث.

ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول: كشف شبهة الملاحدة في الدعوة إلى إباحة الاختلاط والعلاقات الحرة بين الرجال والنساء .

المبحث الثاني: كشف شبهة الملاحدة في أن المهر في الإسلام ثمن لشراء المرأة والاستمتاع بها.

المبحث الثالث: كشف شبهة الملاحدة في إباحة تعدد الزوجات للرجال، وعدم السماح للمرأة بالتعدد.

المبحث الرابع : كشف شبهة الملاحدة أن الإسلام لم يبح للمرأة طلاق زوجها كما أباح للرجل من باب المساواة .

المبحث الخامس : كشف شبهة الملاحدة في عدم مساواة الإسلام بين الذكر والأنثى في الميراث .

الإهداء

المبحث الأول:

كشف شبهة الملاحدة في الدعوة إلى إباحة الاختلاط والعلاقات الحرة بين الرجال والنساء [1].

يقول الملاحدة:إن الإسلام لا ينظر إلى الرجل والمرأة نظرة واحدة، فهو يحرم العلاقات الحرة بينهما، وأن منع الاختلاط بين الشباب والشابات يؤدي إلى الأضرار النفسيه، وأنه من آثار الماضي (مخلفات العصر الجاهلي) [2] .

ولكشف هذه الشبهة نقول:

بأن تحريم العلاقات الحرة بين الرجال والنساء هو تشريع الله الخالق لعباده العليم بما ينفعهم وما يضرهم، وللخلوة والاختلاط بين الجنسين مضارَّ كثيرة على الفرد والمجتمع، وهما سبب لكثرة الفواحش، وجرائم الزنا، يشهد بذلك واقع الحياة الذي يحياه الناس، والإسلام يحارب الرذيلة، ويحمي المجتمع منها بما يلي:

١ ــ بالأمر بغض البصر، وفرض الحجاب قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

([1]) الاختلاط : معناه : اجتماع الرجال الأجانب بالنساء الأجنبيات ، بحيث يؤدي هذا الاجتماع إلى الفتنة ، وسواء أكان الاجتماع قد حدث في مكان عام أو خاص .

([2]) وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان ص١٦٧ الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م ـ الناشر مكتبة المدينة المنورة ، محمد ياسين : ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين ص ١٦٣ .

فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١)، وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أن النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ» (٣).

٢ ـــ وتحريم الخلوة بين الرجل والمرأة، عن ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: «لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» (٤)، وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ

---

(١) سورة النور ، الآيات : ٣٠، ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب ، من الآية : ٣٢.

(٣) صحيح مسلم ٤٦ ـ كتاب الْقَدَرِ ٥ ـ بَابُ قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَا وَغَيْرِهِ ، رقم ٢١ ـــ (٢٦٥٧) ج٤ ص٢٠٤٧ .

(٤) صحيح البخاري ـ ٦٧ ـ كِتَابُ النِّكَاحِ ـ بَابُ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا ذُو مَحْرَمٍ ـ رقم ٥٢٣٣ ج٧ ص٣٧ .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ(١) ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ» (٢).

٣ ـ وتحريم الخضوع بالقول، قال الله تعالى ﴿ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٣) .

٤ ـ وتحريم الاختلاط الذي يؤدي إلى الفتنة، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (٤) .

في الآية الكريمة نهى الله تعالى المؤمنين من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الدخول على بيوت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا بعد أن يؤذن لهم، وكذا منع من سؤال زوجات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا من وراء حجاب .

وإذا كان هذا المسلك مع نساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وهن العفيفات العابدات الراكعات اللاتي بلغن منزلة فائقة في الدين والتقوى، فالمسلمات الأخريات أولى بالاتباع والانقياد لحكم الله سبحانه وتعالى (٥) .

---

(١) الحمو : حمو المرأة وحَمُوها وحَماها ، أبو زوجها ، وأخو زوجها ./ ابن منظور : لسان العرب ج١٤ص١٩٧ .

(٢) صحيح البخاري ــ ٦٧ ـ كِتَابُ النِّكَاحِ ــ بَابُ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا ذُو مَحْرَمٍ، ــ رقم ٥٢٣٢ ج٧ ص٣٧ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٩ .

(٤) سورة الأحزاب ، من الآية : ٥٣ .

(٥) فإن اعترض مثيرو الشبهات ودعاة الاختلاط على الاستدلال بهذه الآية، وقالوا : إنها خاصة بزوجات النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ دون سائر المسلمات ،لأن لهن من الخصوصية ما لهنّ .

فالجواب عنه : بأن هذا مطلوب من كل النساء ، نساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والنساء المسلمات جميعا ، للوجوه الآتية:

الوجه الأول : إن القرآن الكريم عام للناس جميعًا؛ قال تعالى: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)[سورة الأنعام ، من الآية : ١٩] ، ومن المعلوم من قواعد الشريعة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية عامة لكل من تتوجه إليه من النساء، فالله سبحانه لما أمر بسؤالهن من وراء حجاب ، أشارت علة الحكم بمسلك الإيماء والتنبيه إلى عموم الحكم، فقال: (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) إذ طهارة القلوب مطلوبة من عموم المسلمين لا من الصحابة وآمهات المؤمنين فحسب، فاتضح من عموم علة الحكم عموم الحكم لجميع النساء، ولو قلنا بتخصيصها بأمهات المؤمنين لعطلنا كثيرًا من أحكام الشريعة، إذ غالب آيات القرآن ذوات أسباب في نزولها.

الوجه الثاني : إن الحكم يعم جميع النساء، ولو كان الأمر بمنع الاختلاط خاصًّا بأمهات المؤمنين فمن المقصود بقوله - صلى الله عليه وسلم -: : «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» [صحيح مسلم ٤ - كِتَابُ الصَّلَاةِ ـ ٢٨ - بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، وَإِقَامَتِهَا، وَفَضْلِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ مِنْهَا، وَالِازْدِحَامِ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَتَقْدِيمِ أُولِي الْفَضْلِ، وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الْإِمَامِ ـ رقم ١٣٢ ـ(٤٤٠) ج١ ص٣٢٦].

ومن المقصود بحديث أَبِى أُسَيْدٍ الأَنْصَارِىِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ - وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِى الطَّرِيقِ ، لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ» فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ [سنن أبي داود ـ بَابٌ فِي مَشْيِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الطَّرِيقِ ـ رقم ٥٢٧٢ ج٤ ص٣٦٩، وحسنة الألباني] .

فهذه الأدلة تحرم النظر والخلوة والاختلاط والخضوع في القول، وكل ما من شأنه إثارة الغرائز والشهوات، لأنها تؤدي إلى الفتنة، وإلى مفاسد جمة ليس لها حصر، ومن ثم هدم أخلاق الأمة الإسلامية، أفراداً وجماعات، وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى ذلك يجب منعه، وفقا لقاعدة سد الذرائع، ومؤدها أن ما كان وسيلة إلى الوصول إلى المحرم فهو محرم، وما كان

الوجه الثالث : يلزم عن قولهم هذا، أن كل خطاب توجه إلى أحد بعينه، فحكمه خاص به، وحينئذ فالشريعة كلها خاصة بالصحابة - رضي الله عنهم -؛ لأن الأمر الإلهي نزل يخاطبهم حين نزل، فمَن بَعدهم لم يأت بعد.

وما هكذا سبيل العلماء، فسبيلهم أن الحكم يخص المخاطب بشرط هو: إذا ورد دليل آخر يدل على الخصوصية. وقد قال تعالى مخاطبًا أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -:(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [سورة الأحزاب ، من الآية : ٣٣] .

فهل سيدّعون أن النهي عن التبرج أيضًا خاص بأزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ لأن الخطاب توجه إليهن؟.

الوجه الرابع : قيل لهم: «لِمَ خُصَّ أزواج النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بالقرار؟» فقالوا: «لحرمتهن ومنزلتهن».

فيقال لهم: «هذه الحرمة والمنزلة تشمل فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا شك؛ فيجب عليها القرار أم لا؟».

فإن قالوا: «يجب عليها القرار».فهاهم أدخلوا من لم يتوجه الخطاب إليه، فبطل قولهم بالتخصيص.

وإن قالوا: لا يجب عليها القرار؛ لأنها لم تخاطب، بطل تعليلهم، وما بُنِيَ عليه من التخصيص.

فكيفما قدرت، فقولهم باطل . / شحاتة محمد صقر :الاختلاط بين الرجال والنساء ج٢ ص٣٣٧ ـ ٣٤١ ، د. لطف الله ابن ملا عبد العظيم خوجه :كيف بُنِيَ تحريم الاختلاط؟ www.saaid.net.

وسيلة إلى الحلال فهو حلال، وما كان وسيلة إلى الوصول إلى الفتنة، فهو حرام (١).

أما الإسلام فقد شرَّع الزواج وجعله وسيلة لتحقيق أهداف جليلة وغايات سامية للفرد والمجتمع، فهو ليس ترفا إنسانياً لقضاء شهوة معينة والاستمتاع بلذة مؤقتة، ولكنه تكليف إلهي لبنى أدم، وآيه من آيات الله عز وجل في خلقه وملكوته، ونعمة من نعم الله الكبرى كما جاء في صدر الآية الكريمة في قول الله تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)" وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ (٣) ،وغير ذلك من الآيات.

فالزواج الذي سنه التشريع الإسلامي يسعى إلى تحقيق ثلاثة أهداف كبرى إجمالية تندرج تحتها أهداف جزئية كثيرة، والأهداف الثلاثة الكبرى هي: المودة، والرحمة، والسكينة، ويعبر عنها بإشباع الغريزة الفطرية، والتناسل بطريق مشروع، وإقامة الحياة الآمنة المطمئنة، وتمد المجتمع بعناصر سوية تسهم في بناء حضارته وإعمار أرضه، وتقوم بسنن الله عز وجل في الكون والحياة، ولذا كان الزواج بضوابطه الشرعية وآثاره المترتبة عليه يضم عددًا من آيات الله تعالى للمتفكرين والمتدبرين من ذوي العقول السوية والبصيرة القوية أن يتدبروا خلق الله تعالى ويجتهدوا في حمده وشكره

(١) د/ محمد حسن أبو يحيي : أهم قضايا المرأة المسلمة ص ١٤٧ ــ ١٥٢ ــ دار الفرقان ــ عمان ــ الأردن ، د/ عادل عبد الموجود : هجمات المستشرقين والمنصرين على المرأة المسلمة ج٢ ص ٦٥١ ، ٦٥٢ .

(٢) سورة الروم ، من الآية ٢١ .

(٣) سورة النحل ، من الآية : ٧٢ .

وعلى ما أنعم به عليهم، وأن هذا يدل بوضوح على أن النظام الإسلامي في الزواج هو أعظم ملاءمة للفطرة ومناسبة لها، وأن كل ما يثار حوله من شبهات أقوال ساقطة لا تستطيع مناهضة ما فيه من حقائق راسخة ثبتت، وأثبتت صدقها على مر الأيام (١)..

أهم الآثار التي تترتب على العلاقات الحرة بين الرجال والنساء:

يترتب على العلاقات الحرة بين الرجال والنساء آثار اجتماعية، وصحية، ونفسية، واقتصادية على الفاعل والمجتمع:

أولا: الآثار الاجتماعية المترتبة على العلاقات الحرة بين الرجال والنساء:

١ ــ من آثار العلاقات الحرة المدمرة انعدام الغيرة، واضمحلال الحياء، وفساد الأخلاق، (٢)، **واضمحلال القوى الجسدية والفكرية في شباب الأمة حين تغتالهم الشهوات المحرمة البهيمية وتسيطر عليهم الاستثارة الجنسية، ويصبح جُلّ تفكيرهم وهدفهم واهتمامهم بصور الإغراء، والموسيقى الراقصة والأغاني الماجنة، فيتحوّل المجتمع إلى لهو وعبث**

---

(١) السرخسي : المبسوط ج٤ ص ١٩٢ ــ ١٩٤ ، حاشية الشرقاوي على التحرير ج٢ ص ٢١٣ ، الشيخ محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص١٠٢ ، ١٠٣، د/ مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون ص ٥٤ ـ الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م دار الوراق للنشر والتوزيع ، مصطفى أبو الغيط : الموازنة بين علاقة المرأة بالرجل الأجنبي في شريعة الإسلام وحضارة الغرب ج١ ص٢١٩ ـ٢٤٤ بتصرف الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ــ الفيوم ــ مصر .

(٢) حِرَاسَةُ الْفَضِيلَةِ (ص ١١٥).

ومجون وخلاعة، وهذا بالطبع يؤدي إلى أن يورد المجتمع موارد الهلاك والدمار والعطب والفناء وفشوّ الفاحشة.

٢ ــ إن المرأة التي يزني بها رجل أناني مغرض ويصيرها أماً لولد، تخيب حياتها وتفسد للأبد، وينصبُّ عليها وابل من الذلة والنكبة والمقت العام، لا ينقطع عنها ما دامت حية، ثم من أين نجد لذلك الطفل شفقة الوالد وعطف الأعمام ومحبة الأجداد ؟

ولهذه الأسباب يكون من الضرورات اللازمة لقيام الحياة الاجتماعية ونشأتها ونموها على الخطط الصحيحة أن تمنع في الجماعة فوضى العمل الجنسي، ولا يجوز لتسكين الغرائز الشهوانية إلا وجه واحد، وهو الزواج، فإن إعطاء الأفراد حرية الزنا والفحشاء غلو في مسامحتهم وعدوان على المجتمع، بل هدم لكيانه .

والمجتمع الذي يتهاون بهذا الأمر ويغمض عن الزنا زاعما إياه شيئا من باب الترفيه عن النفس وقضاء الوقت في المتعة واللذة، ويسامح في نثر بذور النسل هنا وهناك بلا قيد، هو مجتمع جاهل، لا يعرف حقوقه، ومن ثم يعادي نفسه، ولو أنه يشعر بحقوقه ويتفطن للآثار السيئة التي تترتب على المصالح الاجتماعية من جراء إباحة الحرية الفردية في العلائق الجنسية لنظر إليها كنظره إلى السرقة والتلصص والقتل، بل هذه الإباحية في الفحشاء أشد من السرقة، فإن السارق أو اللص أو القاتل لا يسلب إلا فرداً أو بضعة أفراد من المجتمع، ولكن الزاني يعتدي على المجتمع

بأسره وعلى أجياله القادمة أيضاً، فهو يخون ملايين من الناس في آن واحد وعواقب جريمته هذه أوسع وأعمق من جرائم سائر المجرمين (١).

ثانيا: الآثار الصحية المترتبة على العلاقات الحرة بين الرجال والنساء:

١ ــ إن أول ما يجنيه الزاني من عمله، هو أنه يعرض نفسه لخطر الإصابة بالأمراض السارية القاتلة .. وإن مرض السيلان الذي هو أول ما يُبتلى به الزاني، يسبب قرحة قلما تندمل، ولا يخلص من أذاها الإنسان إلا في النادر، وهذه العاهة كثيراً ما تتلف الكبد والمثانة والخصيتين وغيرها من الأعضاء، وتسبب وجع المفاصل، وأمراض أخرى كما أنها قد تسبب العقم الأبدي .

٢ ــ أمراض الزهري، ومن المعلوم أنه يسمم نظام الجسد كله، من قمة الرأس إلى أخمص القدم ولا يوجد عضو من أعضاء الجسد غير متأثر بسمومه وأذاه .

وهذا المرض لا يبيد قوى المريض وحده، بل يتعداه إلى من لا يحصى من النفوس الأخرى بطرق شتى، ثم ينتقل من المريض إلى أولاده، وأولاد أولاده، فيعانون بلا ذنب يجنونه، فهو من الأمراض السارية المعدية (٢).

---

(١) د/ محمد حسن أبو يحيي : أهم قضايا المرأة المسلمة ص ١٦٠ ــ ١٦٢.

(٢) د/ محمد حسن أبو يحيي : أهم قضايا المرأة المسلمة ص ١٥٩ ، ١٦٠، د/ فضل إلهي :التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي ص٥١ ــ ٥٨ طبعة دار المعارف ــ الرياض ، د.عبدالجواد الصاوي :بحث بعنوان "الأمراض الجنسية الحصاد الحتمي للإباحية ". د/ محمد علي الباز :الإيدز

٣ ــ الإيدز ذلك الوباء الذي اجتاح الهلع منه والرعب دول العالم أجمع وعلى الأخص الدول الغربية؟ إنه طاعون العصر للذين استعلنوا بالفاحشة وغرقوا في أوحال الرذيلة.

وقد وقف الأطباء والباحثون عاجزين أمام هذا المرض المدمر لا يجدون له دواء أو علاجا، لأنه يغير من خواصه باستمرار، وهو كل يوم في ازدياد وانتشار، إلا أن هذا المرض وأمثاله هو عقوبة إلهية لمن انتكست فطرتهم من الخلق فاستبدلوا بالعفة والطهارة فواحش السلوك المحرم من الزنا واللواط واستعلنوا بتلك الفواحش إباحة ورضى وتفاخرا؟ أليس ذلك هو عين ما أخبر عنه نبي الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان: «... لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، ... » (١)، **وقال ابْنِ عَبَّاسٍ: «.. وَلَا فَشَا الزِّنَا فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ، ...»** (٢).

لقد أشارت هذه الأحاديث إلى حقيقة هامة وهي أن هذا الأمر سنة جارية ونظام لا يتخلف في أي قوم قط من أي دين أو جنس أو بلد، طالما

ومشاكله الاجتماعية والفقهية ط١ دار المنارة ١٩٩٦)، د/ محمد علي الباز : الأمراض الجنسية ط٢ سنة ١٩٨٦م دار المنارة

(١) سنن ابن ماجه ٣٦ ــ كِتَابُ الْفِتَنِ ٢٢ ــ بَابُ الْعُقُوبَاتِ ــ رقم ٤٠١٩ ج٢ ص١٣٣٢ . وقال الشيخ الألباني : حسن ، مطولا في قصة ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.

(٢) موطأ مالك ٢١ - كِتَابُ الْجِهَادِ ــ بَابُ مَا جَاءَ فِي الْغُلُولِ ــ رقم ٢٦ ج٢ ص٤٦٠ عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي

ظهرت وكثرت فيهم الفاحشة واستعلنوا بها، ظهرت فيهم الأوبئة والأوجاع الجديدة التي لم تبتل بها الأجيال قبلهم، والذي يؤكد هذه الحقيقة طبيعة الأمراض التي تنتقل عن طريق الزنا واللواط فهي أمراض تسببها جراثيم ذات طبيعة خاصة فهي لا تصيب إلا الإنسان ولا تنتقل إليه إلا عن طريق الجنس، ولهذه الجراثيم مقدرة عجيبة في اختراق جلد الأعضاء التناسلية والشفاه، وتصل الإصابة بها إلى عمق الأجهزة التناسلية بل وإلى عموم الجسم ولا يوجد لهذه الجراثيم أمصال تقي الجسم من أخطارها، ولا يكون الجسم منها مناعة طبيعية، لأن هذه الجراثيم تغير خواصها باستمرار مما يجعلها مستعصية العلاج، والجسم غير قادر على مقاومتها، ومن الممكن أن تظهر بصور وصفات جديدة في المستقبل، وهذا يؤكد أن المزيد من هذه الأوبئة الكاسحة والأوجاع المميتة ما زالت تنتظر الشاردين عن نداءات الفطرة وتعاليم السماء أليس هذا دليلا إضافيا على أن محمدا رسول الله حقا لا ينطق إلا صدقا، ولا يتكلم إلا بنور الله ووحيه؟ قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(٤)عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (١).

فعلاج مشكلة الأمراض الجنسية وأوبئتها الفتاكة بالبشر لن يتغلب عليها إلا بالتزام تعاليم الإسلام.

(١) سورة النجم ، الآيات : ٣ ـ ٥ .

والبشرية كلها ستظل في تيه وضلال واضح بيِّن، ما لم تجلس إلى هذا النبي لتتعلم منه آيات الكتاب والحكمة، متبعة شريعته ومقومة سلوكها ومزكية نفوسها بتعليماته وتوجيهاته(١).

ثالثاً: الآثار النفسية للعلاقات الحرة بين الرجال والنساء:

إن القائلين بالعلاقات الحرة بين الرجال والنساء لا دراية لهم بالنفس البشرية، والشاهد من واقعنا أن الذي يطلق لنفسه العنان في إشباع رغباته الجنسية يأتي عليه بعد فترة شعور بالألم النفسي، والحسرة، وعدم الاستقرار، وينظر لمن عَفَّ نفسه بالحلال وأصبحت له أسرة وأطفال نظرة غِبطَة، ويتمنى أن لو كان مكانه، وكذلك المرأة التي لا تبالي بأي قيود شرعية أو غير شرعية، تشعر هي الأخرى بعد فترة بالتمزق النفسي وتتمنى أن لو كان لها زوج وأطفال من الحلال، هذا لأن الإنسان كما هو محتاج لإشباع جسده فهو محتاج لإشباع روحه، وإشباع روحه لا يأتي إلا بالتقرب إلى من خلقها، والدليل على ذلك أن أكبر نسبة انتحار في العالم توجد في الدول الأوربية حيث الرُّقي المادي، والانحلال الجنسي، وكل وسائل الترف والنعيم، ولكن نفوسهم خَواء، وسَلُوا القائلين هذا القول: هل استقرت الأمور بعد أن أطلقتم الحريات حتى لا يكاد يتأكد أحد من معرفة أبيه ؟

وهل الانحلال عندكم أدَّى إلى إشباع جنسي واسترحت النفوس ؟

---

(١) مصطفى أبو الغيط : الموازنة بين علاقة المرأة بالرجل الأجنبي في شريعة الإسلام وحضارة الغرب ج٢ ص٤٦٨ ـ ٥٤١ بتصرف ،.د.عبدالجواد الصاوي :بحث بعنوان "الأمراض الجنسية الحصاد الحتمي للإباحية ". د/ محمد علي الباز :الإيدز ومشاكله الاجتماعية والفقهية ط١ دار المنارة ١٩٩٦ م .

إنهم لم يكتفوا بالمتاح لهم من النساء فلجأوا إلى الاغتصاب حتى وصل الاغتصاب في أوربا وأمريكا إلى أعلى النسب العالمية، ولم يردعهم رادع، رغم قسوة القوانين التي وصلت في بعض البلدان إلى الإعدام، ولقد أصيبوا بالأمراض النفسية والشذوذ الجنسي، لدرجة أنهم أباحوا ما يسمى بزواج المِثَلين [أي زواج الذكرين وزواج الأنثيين] حتى إن القاساوسة في أمريكا وأوربا يقومون بعقد هذا الزواج في كنائسهم ! هذا فضلا عما أصيبوا به من الأمراض الفتاكة المهلكة، هذا بالإضافة إلى التفكك الأسري، وكثرة أطفال الشوارع واللُقطاء.

فالذين يبيحون الاختلاط ويبررونه بتعويدات اجتماعية ومعالجات نفسية، وحجج شرعية، فإنهم في الواقع يفترون على الشرع ويتجاهلون الفطرة الغريزية ويتجاهلون الواقع المرير الذي آلت إليه المجتمعات الإنسانية قاطبة(١) .

رابعاً: الآثار الاقتصادية للعلاقات الحرة بين الرجال والنساء:

إن طغيان الرذائل والفواحش والمثيرات في المجتمع يلحقها بشكل عفوي شيوع الترف والتبذير والبذخ وإهدار الأموال وتفتيت الثروات وتبديدها فيما يعود على الناس بأسوء العواقب، وبذلك تضيع على الأمم والشعوب طاقات وإمكانيات كان يمكن الإفادة منها في مجالاتها الخيرة كالصناعة والزراعة والعمران وسواها من المجالات التي تحقق لها الرقي والتقدم والرفاهية .

---

(١) محمد ياسين : ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين ص ١٦٣ ـ ١٦٥ مصطفى أبو الغيط : الموازنة بين علاقة المرأة بالرجل الأجنبي في شريعة الإسلام وحضارة الغرب ج٢ ص٥٤٢ بتصرف .

فالذين يقضون أوقاتهم في سوق الملذات والشهوات وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة يسببون انهيار الاقتصاد في الأمة وذلك: لضعف القوى، وقلة الإنتاج، واتخاذ الكسب غير المشروع .

أما ضعف القوى: فلأن الذي ينساق وراء اللذة والفاحشة يمرض عقليا، ويمرض جسميا، ويمرض خلقيا، ويمرض نفسيا، ولا شك أن المريض حين يمرض تضعف قواه، وينحط جسمه، وتنهار عزيمته، فلا يستطيع أن ينهض بمسئولية على وجهها الأكمل، ولا أن يضطلع(١) بواجب على النهج الصحيح !! وفي ذلك تعطيل للاقتصاد، وانهيار للحضارة .

أما قلة الإنتاج: فلأن الأموال تتبدد في الشهوات، لا في طريق الإنتاج ومصلحة الاقتصاد، ولأن المتحلل لا يخلص في عمله، ولا ينهض بمسئوليته ... لانعدام الرادع الديني، والزاجر الأخلاقي في قلبه وضميره .. وفي ذلك فساد للأخلاق، وطعنة للاقتصاد .

أما اتخاذ الكسب غير المشروع: فلأن الماجن الوضيع الذي ليس له من تقوى الله رادع يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق ... طريق الربا والميسر، طريق الرشوة والاختلاس، طريق الإتجار بالأعراض، والاتجار بالمسكرات والمخدرات ..... إلى غير ذلك من هذه الوسائل غير المشروعة في جمع المال التي لا تعود على المجتمع إلا بالخسران والضرر، والفقر والبطالة، وقتل القيم ومكارم الأخلاق، إذ بها تهدر الطاقات المنتجة، وتتعطل المكاسب المشروعة، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية، وسجين الأنانية والمحسوبية، وعبد الشهوة،

(١) تقوى اضلاعه على حمله . / ابن فارس : مجمل اللغة ج١ ص٥٦٥ .

واللذة والهوى!! وفي ذلك تحطيم لتقدم الأمة، وتضعيف لاقتصادها وإنتاجها (١).

خامسًا: آثار العلاقات الحرة بين الرجال والنساء على المجتمع الإسلامي :

١ ــ إن الأخطار الصحية التي تلحق الزاني في حياته، وهي ما تسمى بالأمراض المعدية كالزهري، والسيلان تنتقل بالوراثة إلى البنين والبنات، ومن ثم تلحق المجتمع بأسره.

٢ــ إن الزاني يُبتلى بالسفاسف (٢) **الخلقية من وقاحة وخديعة وكذب وأثره وخضوع للشهوات وجموح النفس وتشرد الفكر وتطلعه إلى كل جديد وغدر وقلة وفاء .**

ولا شك أن هذه الصفات من شأنها أن تضر المجتمع في كل شعبة من شعب الحياة، فيفسد بها كل الآداب والعلوم والفنون والصناعات والمهن والاجتماع والاقتصاد والسياسة والقضاء والخدمة العسكرية وتدبير الدولة، وإذا كانت أمة من الأمم لا يتصف أفرادها بثبات في الطبع وكانت أكثر أجزاء تركيبها متجردة من خِلاَلِ الوفاء والإيثار وضبط الشهوات، فأنّي يكون في سياستها قراراً وثباتاً؟

٣ ــ ومما تستلزمه إباحة الزنا أن تجري في المجتمع حرفة البغاء،لأن من يقول بأن للشاب حق في أن يمتع نفسه بلذات الشباب، فكأنه يقول

---

(١) مصطفى أبو الغيط : الموازنة بين علاقة المرأة بالرجل الأجنبي في شريعة الإسلام وحضارة الغرب ج٢ ص٤٦٦ ـ ٤٦٧.

(٢) السفاسف : هي الرديء الحقير من كل شئ وعمل ./ د / أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل : معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي ج١ ص٤٤٤ الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م عالم الكتب ــ القاهرة .

مع ذلك بأن تكون في المجتمع لهذا الغرض طبقة من الإناث تكون في أسفل الذل والمهانة ونقص الاعتبار، ولكن من أين تأتي أولئك النساء ؟ أفلا يخرجن من هذا المجتمع الذي يعيش فيه ؟ أو لا يكنّ من بناته هو أو أخواته ؟ بلى، فبدل أن يكنَّ من النساء الشريفات والأمهات الفاضلات وربات البيوت المحصنات والمربيات الكريمات تراهن كمراحيض يستعملن لقضاء وطر كل خليع داعر ويتجردن من جميع الخصائص النسوية الشريفة، ويتدربن على التكسب بالغُنْجُ (الشكل)، والدلال، ويسفلن إلى أن يبعن محبتهن وقلوبهن وأجسامهن، ومحاسنهن ومفاتنهن، لكل زائر جديد في كل ساعة ويقضين أعمارهن في هذا الدنس بدل أن يقمن بخدمة نافعة مثمرة للمجتمع .

٤ ـ إن من الآثار المدمرة الخطيرة للعلاقات الحرة بين الرجل والمرأة، أن يفقد الزواج الطاهر قيمته في نفوس من استحوذ عليهم مرض العلاقات الحرة، حيث يجد كلا الجنسين سبيله إلى متعة مغرية تجعله لا يفكّر بالزواج، بل تُفقِد المتزوج اهتمامه برابط الزوجية مع زوجته، فيفارقها أو تفارقه إلى اتخاذ الأخدان من الأخلاّء والخليلات، أو الطلاق والفرقة لأتفه الأسباب.

٥ ــ وإباحة الزنا وترويجه لا يقطع دابر التمدن والعمران فحسب، بل يستأصل النسل الأنساني أيضاً، فإنه لا يقصد أحد من الاثنين ـ الرجل والمرأة ـ بعلاقتهما الجنسية المطلقة أن يقوم بخدمة التناسل وبقاء النوع.

٦ ــ إن الزنا إن حصل منه للنوع الإنساني والمجتمع أولاد، فكلهم أولاد زنا، وتوليد ولد عن زنا عدوان عظيم على الولد نفسه وعلى التمدن الإنساني بأسره لما يأتي:

أن حمل هذا الولد، ينعقد في رحم أمه ساعة يكون أبواه كلاهما تحت غلبة العواطف البهيمية الخالصة، فلا يرث ولد الزنا عن أبويه إلا خصائص الطبع البهيمي، ثم إن الولد الذي لا يأتي أبويه كشيء مطلوب محبوب يفقد في أغلب الأحوال عطف الأبوة ووسائلها، ولا تتيسر له إلا تربية الأم الناقصة التي لا تكملها تربية الأب، وهذه التربية أيضاً ربما يخالطها الضجر والإعراض، والذي لا يتمتع برعاية الأجداد والجدات، والأخوال والأعمام ومن يليهم من ذوي القرب لا جرم أن ينشأ إنساناً ناقصاً غير تام الإنسانية، فلا تتجلى فيه كفاءات موهوبة، ولا تتوافر له وسائل التقدم والإجادة العملية، فيكون في حد ذاته ناقص الإنسانية، عادم الوسيلة، فاقد الحامي والنصير، مظلوماً مدحوراً ويكون للتمدن نكداً عقيماً، لا ينفعه النفع الذي ينفعه إياه لو ولد حلالاً (١).

٧ ـ الإباحية والاختلاط تهدد الأمن والاستقرار وتبشر بالهزيمة، فحين تبتلي أمة من الأمم بمثل هذه الآفات بسبب تفحشها وتهتكها، وحين تتبدد ثروتها، وتتهدم أخلاقها، وتنفصم أواصرها .. وحين تجتاحها الأمراض

(١) د/ محمد حسن أبو يحيي : أهم قضايا المرأة المسلمة ص ١٤٥ وما بعدها ، مصطفى أبو الغيط: الموازنة بين علاقة المرأة بالرجل الأجنبي في شريعة الإسلام وحضارة الغرب ج٢ ص٣٦٢ ـ٤٢١ بتصرف، د/ فضل إلهي :التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي ص٦٢ ــ ٧٨ بتصرف .

الفتاكة تكون قد فقدت مقومات وجودها، وأسباب بقائها واستمرارها، ومن ثم تكون قد حكمت على نفسها بالإعدام (١).

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: أخلاق الأمة هي عدتها وسر قوتها ومناط عظمتها، وإذا كانت أدوات القتال ومعدَّات القتل والفتك هي عدة الحروب التي تدافع بها الدولة أعداءها، وتقاوم بها المعتدين عليها، حتى لا ينفذوا إلى أرضها، فإن الأخلاق هي العدة الداخلية التي تقاوم الفناء، ولا يمكن أن يبقى الانتصار لأمة انحلت أخلاقها وتقطعت روابط الفضيلة بين آحادها، إذ إن الأخلاق هي الصلات التي تربط الآحاد، وإن الأسرة التي تجعل كل امرئ في الأمة يعيش في محيط نفسه ولا يفكر في غيره هي التي تفك العرى(٢)، وتقوض الدعائم، وتجعل الأمة قومًا بوراً، ولا ضابط لأمرها، ولا جامعة نفسية تجمعها (٣).

(١) مصطفى أبو الغيط: الموازنة بين علاقة المرأة بالرجل الأجنبي في شريعة الإسلام وحضارة الغرب ج٢ ص٤٥٦ ، ٤٥٨.

(٢) العرى : قادة الجيش ./ الزمخشري : أساس البلاغة ج١ ص٦٤٩ .

(٣) لواء الإسلام : السنة السادسة عشرة ، العدد التاسع ١٣٨٢ هـ ص٥٥١ .

المبحث الثاني:

كشف شبهة الملاحدة في أن المهر في الإسلام ثمن لشراء المرأة والاستمتاع بها .

يدعي الملاحدة: أن المهر في الإسلام من مظاهر امتهان المرأة وظلمها، زاعمين أنه ثمن لشرائها واقتنائها أو أنه مقابل الاستمتاع الجنسي بها وقضاء الشهوة، ويرمون من وراء ذلك إلى الطعن في أحكام الأسرة في الإسلام وموقفه من المرأة ([1]).

ولكشف هذه الشبهة نقول:

أولاً: إن المهر تكريم للمرأة، وتقديس للحياة الزوجية، وإظهار لمكانة الزوجة في نفس زوجها وإشعارًا له بأن الزوجة لا يسهل الحصول عليها إلا بالإنفاق والبذل([2])، ولا يمكن أن يعتقد عاقل أن الإسلام وضعه ثمناً للمرأة وشرطاً لتملُّكها ؛ وذلك لسطوع الحقائق الآتية:

([1]) زكي على السيد أبو غضة : الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر ص ٧٦ وما بعدها ـ الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م ، د/ عادل أحمد عبد الموجود : هجمات المستشرقين والمنصرين على المرأة المسلمة ـ دراسة فقهية تحليلية في ضوء الواقع المعاصر وفقه الدعوة إلى الله تعالى ج٢ ص٨٧٢ الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٣ م دار الفتح ـ مدينة نصر ـ القاهرة ، موسوعة بيان الإسلام ـ الرد على الافتراءات والشبهات ـ القسم الأول : القرآن ـ المجلد الحادي عشر ـ شبهات حول أحكام الأسرة في الإسلام ـ ج ١٩ ص٤١ .

([2]) محمد عبد اللطيف قنديل: فقه النكاح والفرائض ص١٩٢ . الطبعة: - الناشر ـبدون .

١ ــ الشريعة الإسلامية لا تجعل المهر شرطاً ولا ركناً في الزواج، وإن كان واجباً في العقد، إنما هو أثر من آثاره المترتبة عليه ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾(١) ، فإنه أباح الطلاق قبل الدخول وقبل فرض المهر، والطلاق لا يكون إلا بعد النكاح الصحيح، ومما يدل على أن المهر ليس ركنا ولا شرطا في الزواج، ما روي عن خيثمة عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنْ أُدْخِلَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَهَا شَيْئًا»(٢).

وكذلك فإن هناك نوعاً من النكاح يُسمَّى " نكاح التفويض"، وصورته أن يُعقد النكاح دون صداق، وقد نقل ابن رشد وغيره إجماع الفقهاء على جوازه، استدلالا بقوله عز وجل: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (٣)(٤).

فرفع الله الجناح عمَّن طلَّق في نكاح لا تسمية فيه، والطلاق لا يكون إلا بعد النكاح الصحيح، فدَلَّ على جواز النكاح بلا تسمية مهر، وإذا صح النكاح بلا مهر، علم أن المهر ليس أجرًا وليس من قبيل البيع والشراء، ولكنه شرع في الإسلام عطية لازمة يجب أداؤها من الرجل للمرأة، إظهارًا

---

(١) سوة البقرة . من الآية : ٢٣٦ .

(٢) سنن أبي داود ١٢ - كِتَاب النِّكَاحِ ــ بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَدْخُلُ بِامْرَأَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْقُدَهَا شَيْئًا ــ رقم ٢١٢٨ ج٢ ص٢٤١ . قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَخَيْثَمَةُ، لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عَائِشَةَ ، وقال الألباني : ضعيف .

(٣) سوة البقرة . من الآية : ٢٣٦ . .

(٤) ابن رشد : بداية المجتهد ج٣ ص٥١ ــ تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م ـ الناشر: دار الحديث – القاهرة.

للرغبة فيها وتكريمًا لها وتأليفًا لقلبها، ولهذا قال الحق ـ سبحانه وتعالى ـ في بيان مشروعيته: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) (١).

أي: عطية من الله مبتدأة، وتسمى نحلة ؛ لأن المرأة تستمتع بالزوج كاستمتاعه بها أو أكثر، فكأنها تأخذ الصداق من غير مقابل (٢).

٢ ــ أن الإسلام قد جعل المهر ـ نقداً أو عينًا ـ حقًا للمرأة، وألزم الزوج الوفاء به، إلا أنه لم يحدده بقدر محدد ، ولم ينظر إليه بذاته، ولقد كان عرب الجاهلية يرونه ثمناً للمرأة عند زواجها، ويطلقون عليه " النافجة " ؛ أي الزيادة والكثرة، وكان من حق الأب، لا الابنة المخطوبة، ولذا كانت العرب في الجاهلية تقول للرجل إذا وُلدت له بنت: " هنيئاً لك النافجة " ؛ أي: المُعَظِّمة لمالك، وذلك أنه يزوِّجها فيأخذ مهرها من الإبل، فيضمها إلى إبله، فينفجها ؛ أي: يرفعها، ويكثِّرها (٣)، والمهر في الإسلام عطيَّة محضة فرضها الله عز وجل للمرأة، ليست مقابل شيء يجب عليها بذله إلا الوفاء بحقوق الزوجية، كما أنها لا تقبل الإسقاط ـ ولو رضيت المرأة ـ إلا بعد العقد، قال عز وجل: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ (٤)،أي: فإن أعطينكم شيئاً

---

(١) سورة النساء ، من الآية : ٤.

(٢) ابن نجيم : البحر الرائق شرح كنز الدقائق ج ٣ص١٥٢ ــ الطبعة: الثانية ـ بدون تاريخ ــ الناشر: دار الكتاب الإسلامي ، د/ عادل أحمد عبد الموجود : هجمات المستشرقين والمنصرين على المرأة المسلمة ج٢ ص٨٧٤ ، ٨٧٥.

(٣)ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٣٨٢ ، ج١١ ص٦٥٠ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٤.

من المهر بعد ما قبضنه ـ من غير إكراه ولا حياء ولا خديعة ـ فَخُذُوه سائغاً حَلالاً لا إثم فيه .

٣ ــ لو كان المهر ثمنا للزوجة لجاز للزوج أن يبيع زوجته لأن حق البيع ناشئ بالضرورة عن الملك ؛ وهذا ليس في الإسلام ولا من تعاليمه، بل هو شيء وُجِدَ في بعض الثقافات الأخرى كالهند القديمة، وفي بريطانيا كان هناك قانون شائع حتى نهاية القرن العاشر يعطي الزوج حق بيع زوجته وإعارتها، بل وقتلها إذا أصيبت بمرض عضال، بل إن القانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥ م، كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدَّد ثمن الزوجة بستة بِنسات(١).(٢).

هذا ـ إذن ـ هو قَدر المرأة في هذه الثقافات، أما في الإسلام فالمهر لا يمنح الزوج أي حقٍّ من حقوق التملُّك لزوجته، وإلا لجاز له بيعها أو التنازل عنها، وهذا ما لا يجوز أن يقول به عاقل .

ثانيا: المهر في الإسلام لا يرتبط بمسألة قضاء الشهوة والاستمتاع الجسدي:

المهر إنما هو مظهر من مظاهر تكريم المرأة والعناية بها فاعتقاد أنه مقابل للاستمتاع وقضاء الشهوة اعتقاد خاطئ ؛ إذ قد يموت أَحد الزوجين قبل الدخول وهنا يجب للزوجة ـ أو ورثتها ـ المهر كاملاً بالإجماع (٣).

---

(١) البنس : نصف الشِّلِن .

(٢) د/ محمد المقدم : عودة الحجاب ج٢ ص٥٤ ــ ٥٦الطبعة العاشرة ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م ـ طبعة طيبة ـ الرياض.

(٣) العينى: البناية شرح الهدايةج٥ ص١٣٨ ، د/ وهبة الزحيلي : الفقه الإسلامي وأدلته ج٧ ص٢٨٩ .

وكذلك فإن الزوج لو طلق زوجته بعد العقد وقبل الدخول وقد فرض لها مهراً، فإن لها نصف المهر، قال عز وجل: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ (١).

ثم إن الاستمتاع حاصل من كلا الطرفين، فلو كان المهر مقابلاً للاستمتاع لوجب على كلا الطرفين لا على الزوج وحده، وهذه حقيقة تَدُلُّ على أن المهر ليس إلا هدية ونِحلة من الزوج لزوجته، ولهذا فإن المفهوم السامي لعلاقة الزواج في الإسلام عندما غاب عن أفهام الغربيين، واستحالت هذه العلاقة عندهم إلى علاقة جنسية محضة صيَّرت المرأة ممتهنة ذليلة تقدم للرجل المال ـ الدوطة (٢)ـ لكي يقبلها ويتزوجها، لأن شهوتها الجنسية أضعاف شهوة الرجل (٣)، فالزواج في الإسلام ليس علاقة جنسية يُدفع فيها المال مقابل المتعة، بل هو علاقة راقية لا يرتبط المهر إلا بالرضا والتوافق بين الطرفين على العِشرة والارتباط وهو ما يسمى ب " العقد ".

ثالثا: عدم وجود المهر فيه امتهان للمرأة، وهو طريق سهل إلى الانحراف والغواية:

ليس من العدل ولا من المنطق أن يُمنع دفع المهر إلى المرأة عند الزواج؛ لأن في ذلك امتهاناً للمرأة وحطًّا من قدرها، فينظر الرجل إليها باحتقار، فلا تحسن العشرة بينهما ولا يدوم الحب والوئام، مما يؤدي إلى سهولة

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٣٧ .

(٢) الدوطة: (عِنْد الفرنجة) المَال الَّذِي تَدْفَعهُ الْعَرُوس إِلَى عروسها ./ المعجم الوسيط ج١ ص٣٠٤ الناشر: دار الدعوة.

(٣) زكي علي السيد أبو غضة : الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر ص ٧٦ ، ٧٧ بتصرف .

حل رابطة الزوجية، وسهولة الطلاق والزواج بأخريات، إذ لا يُكلِّف ذلك الرجل شيئاً .

وقد أدَّى هذا المسلك بالأوربيين إلى أن صارت المرأة هناك تقدِّم بعض المال للرجل لكي يقبلها ويرضى بها زوجة له، وهذا معناه أن المرأة لن تتزوج إلا إذا كانت ذات مال، أو تضطر لمعاناة مشقَّات الحياة لتحصيل نفقات الزواج، ومعناه أيضاً أن نغُضَّ من كرامة المرأة، ونضطرها أن تسعى إلى الرجل تطلب يده، فنفرض عليها أن تمزق حُجُب الحياء الذي هو زينة أخلاق المرأة وميزان أصالتها (١).

وهذا الإجراء قد يؤدِّي ـ كذلك ـ إلى شيوع ذلك النوع من العلاقة السِّرِّيَّة التي يسميها الناس خطأً " زواجاً عرفياً "، وإنما هو نوع من الزنا، والذي يدفع إليه هو سهولة الزواج والطلاق في هذا النوع، وعدم وجود أي تكاليف مادية لهما، وما نراه الآن في الجامعات وغيرها من هذا النوع من العلاقة إنما تمَّ بلا مهر أو بمهر اسمي ـ ٢٥ قرشاً ـ كان من نتائجه زواج الطالب بأكثر من طالبة في وقت واحد (٢).

وسببُ كل هذا البلاء غيابُ المهر الحقيقي، فالمهر حماية للمرأة، وضمان لمستقبلها من تأمين لحياتها الزوجية، وليس ثمناً لها، ولا مقابل الاستمتاع الجسدي بها كما يزعم هؤلاء (٣).

---

(١) د/ محمد إسماعيل المقدم : عودة الحجاب ج٢ ص٥٤ ـ ٥٦ .

(٢) زكي على السيد أبو غضة : الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر ص ٧٥ .

(٣) موسوعة بيان الإسلام ، الرد على الافتراءات والشبهات ، القسم الأول : القرآن ـ المجلد الحادي عشر ج١٩ شبهات حول أحكام الأسرة في الإسلام ص٤١ ـ٤٤ .

المبحث الثالث:

كشف شبهة الملاحدة في إباحة تعدد الزوجات للرجال، وعدم السماح للمرأة بالتعدد.

يقول الملاحدة: لماذا سمح الإسلام للرجل بتعدد الزوجات، رغم أن هذا يضر بالمرأة ؟ ولماذا لم يسمح للمرأة بتعدد الأزواج؟ أليست هذه عنصرية ظالمة ([1]).

ولكشف هذه الشبهة نقول:

إن المساواة بين الرجل والمرأة في أمر التعدد مستحيلة طبيعة وخلقة، ومن يقول إن الإسلام يعطي الرجل حق التعدد، ولا يعطي هذا الحق للمرأة، هذا القول لا يقوله إلا منحرف وضال، وكيف يجهل هؤلاء أن إباحة التعدد للرجل دون المرأة، هو من كمال حكمة الله ـ تعالى ـ وإحسانه ورحمته بخلقه ؟

إذ لو أبيح للمرأة أن تعدد الأزواج بأن تكون عند زوجين فأكثر لفسد العالم، وضاعت الأنساب، وقتل الأزواج بعضهم بعضاً، وسالت أنهار الدماء تجري بين المتنافسين من الأزواج أيهم يحظى بالمكانة عندها.

([1]) د/ مصطفى محمود : حوار مع صديقي الملحد ص٨٥ ، د/ عبد التواب هيكل : تعدد الزوجات في الإسلام ص٨٤ مكتبة الحرمين ، د/ عادل عبد الموجود : هجمات المستشرقين والمنصرين على المرأة المسلمة ج٢ ص٧٨٣ ، ٧٨٧، مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون ص ٧٤ ، أ .د/ محمد شامة : تعدد الزوجات في الأديان السماوية (مجلة الأزهر : جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ مارس ٢٠١٥ م) ص٩٨٦ ، محمد ياسين : ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

فتعدد الأزواج بالنسبة إلى المرأة يضيع نسبة ولدها إلى شخص معين، فلو سمح لهن بذلك ... فكيف يعرف كل طفل أباه ؟ وكيف يعرف كل زوج أبناءه ؟ سيحدث حتما اختلاط في الأنساب، وتنازع على الأبناء، فكل زوج يريد الولد الأجمل والأذكى والأقوى، وهذا يريد الذكور وآخر يريد الإناث، وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى الرجل في تعدد زوجاته، لأن المرأة لا تحمل إلا في وقت واحد، مرة واحدة في السنة كلها، أما الرجل فغير ذلك، فمن الممكن أن يكون له أولاد متعددون من نساء متعددات، ولكن المرأة لا يمكن أن يكون لها إلا مولود واحد من رجل واحد .

وشيء آخر وهو أن للرجل رئاسة الأسرة في جميع شرائع العالم فاذا أبحنا للزوجة تعدد الأزواج فلمن تكون رئاسة الأسرة ؟ أتكون بالتناوب؟ أم للأكبر سناً؟ ثم إن الزوجة لمن تخضع؟ أتخضع لهم جميعاً وهذا غير ممكن لتفاوت رغباتهم؟ أم تخص واحداً دون الآخرين، فيقتل الأزواج بعضهم بعضاً (١).

فالجواب ببساطة ـ كما ذكره الأستاذ الدكتور محمد البهي ـ يتضمن ما يأتي:

---

(١) د/ عادل عبد الموجود : هجمات المستشرقين والمنصرين على المرأة المسلمة ج٢ ص٧٨٧ ، مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون ص ٧٤ ، محمد ياسين : ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين ص ١٣٠ ـ ١٣٢ ، عبد الرحمن حسن حنبكة : أجوبة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشرية العاملة تحت تنظيم الآباء البيض ص١٢٠ . الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م مكتبة المنار ـ العزيزية .

١ ــ أن الرجل الذي يجمع أكثر من واحدة إلى أربع في زيجة واحدة يتحمل مسئولية كل واحدة منهن على استقلال، ويتحمل مسئولية من يأتي منها من أولاد في غير شبهة أو اختلاط، فمن يتحمل مسئولية الرجال الأربعة ـ مثلا ـ لزوجة واحدة ؟ أهي الزوجة نفسها أو واحد من الأزواج ؟ وأيهم ؟ أم الأزواج جميعاً مسئولون مسئولية مشتركة متضامنة عن المرأة ؟ ومن يتحمل مسئولية الأولاد اجتماعيا ودينيا وقانونيا ؟

٢ ــ أتستطيع الزوجة الواحدة لأربعة رجال مثلا في زيجة واحدة أن تعاشرهم الأربعة معاشرة جنسية بصفة مستمرة، ومن غير انقطاع، وبما لها من وقت حيض ونفاس وما تقوم به من إرضاع ورعاية للأولاد ؟

٣ ــ أن طبيعة الأنوثة في المرأة نفسها تنكر تعدد الأزواج وتأباه لعوامل صحية ونفسية، وكذلك طبيعة المجتمع السليم، لأن ذلك يتنافى مع المسئولية الفردية في بناء الأسرة، ولأنه يتنافى ـ أيضاً ـ مع وضع العلاقات المطمئنة بين الأفراد، وهي علاقات المحبة وتجنب الشحناء والخصومة .

٤ ــ أن العاهرة لا تمكِّن الرجال منها حبًّا في المعاشرة الجنسية، وفي رضا نفس، إنها تكون مكرهة من أجل زلة لا تستطيع تجاوزها، أو من أجل لقمة العيش، إنها في واقع الأمر تستهلك نفسها وحياءها بجانب استهلاكها لإنسانيتها، إنها لا تعيش إلا في صورة إنسان، وإنها إذ

تضحك تبكي، إنها بائسة يائسة، وذلك كله من أجل العدد من الرجال معها (١).

وفوق هذا وذاك فإن تعدد الأزواج للمرأة الواحدة زيادة على أنه يؤدي إلى اختلاط الأنساب، وما يستتبعه من إهمال الرجل في تربية نشء ليس واثقاً أنه من صلبه يخالف الطبيعة البشرية والفطرة السليمة القويمة، حتى إن المرأة التي تتزوج عدة مرات زواجاً شرعياً تتعرض ـ أكثر من غيرها ـ للإصابة بسرطان الرحم، والمرأة العاهرة تتعرض للإصابة بالزهري ... إلخ، بينما لا يتعرض الرجل لمثل ذلك إذا عدَّد زوجاته الشرعيات، كذلك يفتح تعدد الزوجات فرص الزواج أمام كثير من العانسات والأرامل والمطلقات، بينما لو أبيح للمرأة أن تتزوج مثًلا بأربعة رجال لزاد عدد العانسات زيادة عظمى (٢).

***وتعدُّد الزوجات تشريع قديم أباحته كل الشرائع السابقة على الإسلام، ثم جاء الإسلام فلم ينشئ تعدُّد الزوجات ولكنه قيَّده، من ناحية العدد، وقيده من ناحية الواجبات التي فرضها على الزوج، فقال الله تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾** (٣)، **وقال ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا**

---

(١) د/ محمد البهي : الإسلام واتجاه المرأة المعاصرة ص٤٣ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ١٩٨٢ م ، مكتبة وهبة ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أجوبة الأسئلة التشكيكية ص١٢٠ ـ ١٢٦ .

(٢) د/ عبد الناصر العطار : تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية ص٩ : ١١ بتصرف ، محمد ياسين : ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ٣ .

بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١). (٢)

فالإسلام قيد التعدد بشروط معينة منها:

١ – العدد: فالإسلام لا يطلق الزواج بأي عدد من النساء بل حدد هذا الأمر، ولم يتركه لهوى الرجل، فاقصى ما يمكن أن يجمعه رجل في عصمته أربع نساء.

٢ – العدل: فالتعدد مشروط بالعدل بين الزوجات،لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (٣)، **وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه ـ قال: « مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»** (٤)، **فمن لم يتأكد من قدرته على العدل، لم يجز له أن يتزوج بأكثر من واحدة، ولو تزوج كان العقد صحيحا بالإجماع ولكنه يكون آثما، والمراد بالعدل المشروط هو العدل المادي في المسكن**

---

(١) سورة النساء ، من الآية : ١٢٩ .

(٢) أ .د/ محمد شامة : تعدد الزوجات في الأديان السماوية (مجلة الأزهر : جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ مارس ٢٠١٥ م) ص٩٨٦ وما بعدها ،لواء / أحمد عبد الوهاب : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ص١١٥، ١١٧ ، ١٧٨ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م مكتبة وهبة ، مصر ، مصطفى أبو الغيط : شبهات حول المرأة في الإسلام ج٢ ص٨٠٤ وما بعدها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أجوبة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشرية العاملة تحت تنظيم الآباء البيض ص١١٥ ـ ١٢٠ .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ٣ .

(٤) سنن أبي داود ـــ كتاب النكاح ، باب في القسمة بين النساء ـ رقم ٢١٣٣ ج٢ ص ٢٤٢.قال الشيخ الألباني : صحيح.

واللباس والطعام والشراب والمبيت وكل ما يتعلق بمعاملة الزوجات مما يمكن فيه العدل (١).

٣ ـ القدرة على الإنفاق وعدم خشية الإهمال، لقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (٢)،

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ» (٣) .

٤ ـ وجود الحاجة إليه (٤) .

وقد شرع الإسلام التعدد لأسباب كثيرة منها:

١ – زيادة نسبة الإناث عن نسبة الذكور، وموارد هذه الزيادة ما يلي:

---

(١) مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون ص ٧٩ ، ٨٠ ، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٤٦ : ١٤٩ طبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة .،عكاشة عبد المنان الطيبي : المرأة في ظلال القرآن ص٨٨ ، ٨٩ دار الفضيلة ـ القاهرة .

(٢) سورة النساء ، من الآية : ٣ .

(٣) سنن أبي داود ٩ - كِتَاب الزَّكَاةِ ـ بَابٌ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ ـ رقم ١٦٩٢ ج٢ ص١٣٢ ـ قال الشيخ الألباني : حسن .

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة : تنظيم الأسرة وتنظيم النسل ص ٦٢ طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة ، ، أ .د/ محمد شامة : تعدد الزوجات في الأديان السماوية ص٩٨٦ وما بعدها ، الشيخ عبد العزيز جاويش : الإسلام دين الفطرة ١٢٠ ،١٢١ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م ـ الزهراء للإعلام العربي .

أ ــ نتيجة معارك وحروب تحصد الرجال دون النساء فالرجال هم العنصر الغالب في خوض المعارك، وهم الذين يتعرضون للقتل (١) .

ب ــ نسبة الوفيات في المواليد والكبار تزيد في الذكور عن الإناث، إذ إن تحمُّل الطفل الذكر أقل من تحمل الإنثى، ولذلك تزيد نسبة الوفيات عند الرجال الكبار أكثر منها عند النساء (٢) .

ج ـ تؤكد الدراسات الديمغرافية كثرة عدد الإناث على جهة العموم عن عدد الرجال، وإذا كانت النساء أكثر من الرجال فإن التعدد هو السبيل لحفظ كرامتهن وشرفهن.

د ـ التعدد مخرج من ارتكاب جريمة الزنا، وتحصين للرجل من الوقوع في الفاحشة (٣) .

٢ – أن العقم قد يعترض المرأة قبل الزواج أو بعده، وبهذا يفقد الزواج هدفه الأسمى وهو طلب الولد، والتعدد هو الذي يكفل لهذه الأسرة الاستمرار في الحياة واستقرار الحياة العائلية، والتمتع بزينة الحياة وهم الأولاد، وهذا مطلب ديني واجتماعي له اعتباره.

٣ – أن من النساء من تتعرض للطلاق والترمل والشباب لا يرغبون في الزواج من هؤلاء فمن يكفلهن ويحفظ كرامتهن إلا التعدد؟

---

(١) فوزي محمد محمد شرف الدين : الأسرة بين التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية ص١٣٧ .

(٢) وحيد الدين خان : المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ص٢٣٨ ، ٢٤٤ ــ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م دار الصحوة ــ القاهرة ــ ترجمة :سيد رئيس أحمد الندوي ، مراجعة : ظفر الإسلام خان ، تقرير عن السكان في العالم العربي .

(٣) انظر : دليل التنمية البشرية لعام ١٩٩٩ م

٤ – أن استعداد الرجل للعملية الجنسية غالبًا أكثر من استعداد المرأة، في حين أن المرأة تعترضها فترات تكون غير مهيأة لذلك كالحيض والنفاس، فكيف ينال الرجل حقه الفطري؟ إن التعدد هو الذي يحقق للرجل رغبته؛ لئلا يطلبها من طريق محرم فيجر على نفسه وعلى زوجه شؤم المعصية وما يستتبع ذلك من أمراض.

٥ – أن استعداد الرجل ورغبته وقدرته على الإنجاب يمتد إلى سن متأخرة في حين أن هذا السن لدى المرأة أقل منه لدى الرجل، فكيف يتمكن الرجل من تحقيق رغبته؟ وليس من سبيل إلا التعدد أو امتهان المرأة بالزنا.

٦ – أن الذين يشنعون على الإسلام إباحته التعدد يعيشون العلاقات غير المشروعة، بل ويدعون إليها، ويسنون لها القوانين التي تحميها، باسم الصديقات والخليلات، ولا يقتصر على أربع فحسب، بل هو إلى ما نهاية له من العدد، وإنه لا يقع علناً تفرح به الأسرة، ولكن سراً لا يعرف به أحد، لا يلزم صاحبه بأية مسؤولية مالية نحو النساء اللاتي يتصل بهن، بل حسبه أن يلوث شرفهن، ثم يتركهن للخزي والعار والفاقة وتحمل آلام الحمل والولادة غير المشروعة، ولا يلزم صاحبه بالاعتراف بما نتج عن هذا الاتصال من أولاد، بل يعتبرون غير شرعيين، يحملون على جباههم، خزي السفاح ما عاشوا، لا يملكون أن يرفعوا بذلك رأساً، إنه تعدد خال من كل تصرف أخلاقي أو يقظة وجدانية، أو شعور إنساني، إنه تعدد تبعث عليه الشهوة والأنانية، ويفر من تحمل كل مسؤولية.

فأي النظامين ألصق بالأخلاق، وأكبح للشهوة، وأكرم للمرأة، وأدل على الرقي، وأبر بالانسانية؟([1]) .

وأخيرًا فإن التعدد لمن استطاع العدل بين الزوجات جائز وليس بواجب، ونحن جميعا نعلم أن الإسلام لم يبح لأحد أن يرغم المرأة على الزواج من رجل له زوجة أو أكثر، فهي التي تختار، سواء كانت بكراً أم ثيِّباً..

ومن ناحية الزوجة الأولى لا يستطيع أحدٌ إرغامَها على البقاء إن شاءت عاشت، وإن شاءت طلبت الخلع، وربما كانت الزوجة الأولى هي السبب في الزواج عليها، لعُقْمٍ، أو مرضٍ، أو سفرٍ طويلٍ للعمل، أو للدراسة، وبعض الناس لا يقوى على تحمُّل مثل هذا بغير زوجة، وقد يكون التعدُّد لمصلحتها([2]).

([1]) وحيد الدين خان : المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ص٢٤٤ ــ ٢٤٦ ، مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون ص ٧٤ وما بعدها ، د. ناصر بن عبد الكريم العقل : إسلامية لا وهابية ص٤٢٩ وما بعدها الناشر: دار كنوز أشبيلية للنشر ١٤٢٥ هـ .، قاسم أمين : تحرير المرأة ص١٢٠ ، ١٢١ .

([2]) محمود محمد غريب: من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة: تعدد الزوجات بين حقائق التنزيل وافتراءات التضليل ص٦ وما بعدها الطبعة: الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٤ م ــ الناشر: دار القلم للتراث – القاهرة.

الإهداء

المبحث الرابع:

كشف شبهة الملاحدة أن الإسلام لم يبح للمرأة طلاق زوجها كما أباح للرجل من باب المساواة.

يقول الملاحدة :إن الإسلام جعل الطلاق حقا للرجل ([1]).، ولم يبح للمرأة طلاق زوجها من باب المساواة كما أباح للرجل ([2]).

ولكشف هذه الشبهة نقول:

أولا: إن حق الرجل في الطلاق يقابله حق المرأة في الخلع، فالآية نفسها التي أباحت للرجل طلاق زوجته أباحت لها الخُلع، قال تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ([3]).

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلاَ دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الكُفْرَ فِي الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ

([1]) د/ مصطفى محمود : حوار مع صديقي الملحد ص٨٥ ، د/ عادل أحمد عبد الموجود : هجمات المستشرقين والمنصرين على المرأة المسلمة ج٢ ص٨١٢ .

([2]) د/ محمد سعيد البوطي : المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني ص١٣٧ ، ١٣٨ ، مصطفى أبو الغيط: شبهات حول المرأة في الإسلام ج١ ص٣٠٠ وما بعدها .

([3]) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٩ .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «اقْبَلِ الحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً» (١).

ولكن لا يُفهم من هذا أن المرأة تنخلع من زوجها بغير سبب، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «المُخْتَلِعَاتُ هُنَّ المُنَافِقَاتُ» (٢)**.، ويوضحه الحديث الذي بعده، وهو: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ»** (٣) .

وإنما كانت العصمة بيد الزوج، وأمر الطلاق إليه لسببين:

الأول: أن الرجل هو الذي تكلَّف كل مطالب الزواج والحياة الزوجية بعده من مهر ونفقات، فهو الذي تُصيبه خسارة الطلاق في ماله، ومما لا شك فيه أن هذا يمثل عاملا قويًّا يدفع الرجل ـ عند مواطن النزاع واحتدام المشاعر ـ إلى مزيد من التروّي وعدم التَّسرع في أمر الطلاق (٤)**.،وهذا تأويل قوله تعالى:**

---

(١) صحيح البخاري ٦٨ - كِتَابُ الطَّلَاَقِ ــ بَابُ الخُلْعِ وَكَيْفَ الطَّلَاَقُ فِيهِ ـ رقم ٥٢٧٣ ج٧ ص٤٦ .

(٢) سنن الترمذي ١١ - أَبْوَابُ الطَّلَاَقِ وَاللِّعَانِ ـ بَابُ مَا جَاءَ فِي المُخْتَلِعَاتِ ــ رقم ١١٨٦ ج٣ ص٤٨٤ .قال الشيخ الألباني : صحيح .

(٣) سنن الترمذي ١١ - أَبْوَابُ الطَّلَاَقِ وَاللِّعَانِ ـ بَابُ مَا جَاءَ فِي المُخْتَلِعَاتِ ــ رقم ١١٨٧ ج٣ ص٤٨٥ .قال الترمذي : هذا حديث حسن . عَنْ ثَوْبَانَ.

(٤) أ .د/ محمد الأحمدي أبو النور ، وآخرون :، موسوعة بيان الإسلام ـ الرد على الافتراءات والشبهات ـ القسم الأول : القرآن ـ المجلد الحادي عشر ج١٩ شبهات حول أحكام الأسرة في الإسلام ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (١). (٢).

فبإيقاع الطلاق يترتب على الزوج تبعات مالية يُلزم بها، فيحل المؤجَّل من الصداق إن وجد، وتجب النفقة للمطلقة مدة عدتها، وتجب المتعة لمن تجب لها من المطلقات، كما يضيع على الزوج ما دفعه من المهر وما أنفقه من مال في سبيل إتمام الزواج، وهو يحتاج إلى مال جديد لإنشاء حياة زوجية جديدة (٣).

ولما كانت هذه التبعات على كاهل الرجل دون المرأة، كان الرجل أكثر الشريكين تقديراً لمسئولية الهدم الذي تكفل النصيب الأوفى من بنائه، فكان أحق بالهدم من الزوجة .

السبب الثاني: كون الرجل أكثر إدراكاً وتقديراً لعواقب هذا الأمر، وأقدر على ضبط أعصابه وكبح جماح عاطفته حال الغضب والثورة، بخلاف المرأة التي خُلقت بطباع وغرائز تجلعها أشد تأثراً وأسرع انقياداً لحكم العاطفة من الرجل، لأن وظيفتها التي أُعدت لها تتطلب ذلك، فهي إذا أحبت أو كرهت، وإذا رغبت أو غضبت، اندفعت وراء العاطفة، لا تبالي بما ينجم عن هذا الاندفاع من نتائج، ولا تتدبر عاقبة ما تفعله، فلو جُعل الطلاق بيدها لأقدمت على فصم عُرَى الزوجية لأقل المنازعات التي لا تخلو منها الحياة الزوجية، وتصبح الأسرة مهدَّدة بالانهيار بين لحظة وأخرى تهديداً أشد وأخطر من ذاك التهديد حال كون القوامة للرجل

---

(١) سورة النساء ، من الآية : ٣٤ .

(٢) د/ محمد بكر إسماعيل : الفقه الواضح ج٢ ص١٠٢ .

(٣) د/ محمد بكر إسماعيل : الفقه الواضح ج٢ ص١٦١ .

والطلاق في يده لما يمتاز به من رجاحة العقل، ورباطة الجأش(١)، وقوة التحمل، وضبط النفس (٢).

وهذا لا يعني أن كل النساء كذلك، بل إن من النساء ذوات عقل، وقدرة على ضبط النفس حين الغضب من الرجال، كما أن من الرجال من هو أشد تأثراً وأسرع انفعالا من بعض النساء، ولكن الأعم الأغلب هو ما ذكرناه من حال كل من الرجل والمرأة والأصل أن التشريع إنما يبني على الأعم الأغلب، لا على النادر أو الشاذ .

فإذا كانت المرأة تفكِّر في بقاء المودَّة والرحمة بينها وبين زوجها، وتحرص على دوام العِشرَة بينهما، فالزوج أحرص على ذلك منها، لأنه هو الخاسر إذا ما حلَّ الوثاق بإيقاع الطلاق، ولا يظن عاقل أن في حرمان المرأة من إيقاع الطلاق ظلماً يلحقها، بل في إعطائها هذا، يقع الظلم على زوجها وعلى أولادها وعلى المجتمع .

وعلى هذا يمكن القول: إن فصم رابطة الزوجية أمر خطير يترتب عليه آثار بعيدة المدى في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، فمن الحكمة والعدل ألا تُعطَى صلاحية البتّ في ذلك، وإنهاء تلك الرابطة إلا لمن يدرك خطورته، ويُقِّدر العواقب التي تترتب عليه حق قدرها، ويزن الأمور بميزان العقل قبل

---

(١) الجأش : النفس ، وقيل القلب ، يقال رجل رابط الجأش : شديد القلب ./ ابن منظور : لسان العرب ج٧ ص٣٠٣ .

(٢) د/ محمد بكر إسماعيل : الفقه الواضح ج٢ ص١٠٣، علاء أبو بكر : إنسانية المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى ص٣٧٦ ، أ .د/ محمد الأحمدي أبو النور ، وآخرون : موسوعة بيان الإسلام ـ الرد على الافتراءات والشبهات ـ القسم الأول : القرآن ـ المجلد الحادي عشر ج١٩ شبهات حول أحكام الأسرة في الإسلام ص ١٧٤ .

أن يقدم على الإنفاذ، بعيداً عن النزوات الطائشة، والعواطف المندفعة، والرغبة الطارئة، والمواقف العارضة، فمن الخير للحياة الزوجية، وللزوجة نفسها أن يكون البَتُّ في مصير الحياة الزوجية في يد من هو أحرص منها .

ثانياً: أن الشريعة الإسلامية لم تمهل جانب المرأة في إيقاع الطلاق: لقد منحت الشريعة الإسلامية المرأة الحق في الخلع، كما منحتها الحق في الطلاق ـ على الرغم من عدم تقديرها للعواقب المترتبة عليه حق قدرها ـ، وذلك في أمور:

١ ـ بتفويض الطلاق: والتفويض إليها يكون بلفظ التخيير، والأمر باليد، والمشيئة ([1]).

فيجوز للرجل تفويض الطلاق إلى زوجته، لما روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ، بَدَأَ بِي، فَقَالَ: « إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى

([1]) ابن نجيم : البحر الرائق ج٣ ص٣٣٥ ، السمرقندي : تحفة الفقهاء ج٢ ص١٨٧ ـ ١٩١ الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م دار الكتب العلمية ـ بيروت ، عبد الرحمن بن محمد شهاب الدين المالكي : إرْشَادُ السَّالِك إلىَ أَشرَفِ المَسَالِكِ فِي فقهِ الإمَامِ مَالِك ج١ ص٦٩الناشر: الطبعة: الثالثة ـشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، المواق : التاج والإكليل لمختصر خليل ج٥ ص٣٨٧ الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٤م الناشر: دار الكتب العلمية.، العمراني : البيان في مذهب الإمام الشافعي ج١٠ ص٨٣ ، ابن قدامة المقدسي : الكافي في فقه الإمام أحمد ج٣ ص١١٨ الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م الناشر: دار الكتب العلمية .

تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٩] "، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ »([1]).

فإذا فوض الزوج زوجته في الطلاق مارست حق تطليق نفسها، وبدون وساطة أو قضاء .

٢ ــ اللجوء إلى القضاء:

فالمرأة حين تملك مبرِّرًا قويًّا مقبولا لطلاقها من زوجها، ترفع أمرها للقاضي، إن لم يُجِبها الزوج إلى الطلاق باختياره، فإذا ما ثبت لدى القاضي أن معايشتها لزوجها قد أدت ـ أو من شأنها أن تؤدي حتمًا ـ إلى ضرر لا يستطاع معه استمرار الحياة بين أمثالهما فإنه يحكم بالتفريق .

ومن الأسباب التي تجعل الزوجة تطلب الطلاق من زوجها أو من القاضي:

١ ــ إذا أعسر ولم يقدر على الإنفاق عليها .

([1]) صحيح مسلم ١٨ - كِتَابُ الطَّلَاقِ ٤ - بَابُ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ ـ رقم ٢٢ــ (١٤٧٥) ج٢ ص١١٠٣ .

٢ ـ لو وجدت به عيباً تفوت معه أغراض الزواج، ولا يمكن المقام معه مع وجوده إلا بضرر يلحق الزوجة، ولا يمكن البرء منه، أو يمكن بعد زمن طويل .

٣ ـإذا أساء الزوج عِشرتها وآذاها بما لا يليق بأمثالها، أو إذا غاب عنها غيبة طويلة .

كل تلك الأمور وغيرها تعطي الزوجة الحقَّ في أن تطلب التفريق بينها وبين زوجها، صيانة لها أن تقع في المحظور، وضنًّا بالحياة الزوجية أن تتعطل مقاصدها، وحماية للمرأة من أن تكون عُرضَة للضَّيم والتعسُّف .

والقاضي في ذلك مخوَّل بإنهاء مثل هذه الحياة الزوجية إذا بات مُقتنعاً بصدق ما تدَّعيه الزوجة من احتمالات الضرر التي تصيبها، وهذا يوجب إنصاف المرأة بفكِّها من إسار لا تطيقه، وتخليصها من علاقة لا تتحملها، مصداقاً للحديث الشريف:: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (١). (٢).

وفي الإسلام الحنيف توجيه للرجل بأن يفارق زوجته إذا كانت كارهة له، ولم يُجدِ معها وعظ أو هَجر أو ضَرب أو تحكيم، حيث رُوي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أُتي بامرأة ناشز قد اشتكت زوجها، فأمر بها عمر أن تبيت ليلتها في بيت كثير الزبل ـ ليختبر في الصباح حقيقة شعورها نحو زوجها ـ، فلما دعاها في الصباح، قال لها: كيف وجدت ؟ فقالت: ما وجدت راحة منذ كنت عنده إلا هذه الليلة التي حبستني، فلما

---

(١) أخرجه مالك في " الموطأ" كتاب الأقضية ، ــ بَابُ الْقَضَاءِ فِي الْمَرْفِقِ٣١ج٢ص٧٤٥ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : الأحوال الشخصية ص ٣٤٧ ــ ٣٦٨ بتصرف.

قالت ذلك، قال عمر بن الخطاب لزوجها: «اخْلَعْهَا وَلَوْ مِنْ قُرْطِهَا» ([1])؛ أي: بأي ثمن ؛ لأنه تيقن عندئذ إنها تصدر عن كراهية أصلية له، ولا خير في الزواج عندئذ، لأنه لا يتحقق فيه معنى الإمساك بمعروف، فيتعين التفرق بإحسان .

إلا أن الإسلام قد وجه النساء بأن لا تطلب إحداهن الطلاق أو التفريق إذا لم يكن عندها سبب قوي يدفعها إلى ذلك دفعاً، حيث رُوي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ» ([2]) .

من هذا يتضح أن الإسلام أعطى للمرأة حقًّا في طلب التفريق بينها وبين زوجها في حالات خاصة يثبت فيها الضرر والإمساك بغير المعروف، ولم يجعل الطلاق وقفاً على الرجل وحده كما يزعمون ([3]).

([1]) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الطلاق ، باب من رخص أن يأخذ من المختلعة أكثر مما أعطاها (١٨٥٢٥) ج٤ ص١٢٥ .

([2]) سنن الترمذي ١١ - أَبْوَابُ الطَّلَاقِ وَاللِّعَانِ ـ بَابُ مَا جَاءَ فِي المُخْتَلِعَاتِ ـ رقم ١١٨٧ ج٣ ص٤٨٥ .قال الترمذي : هذا حديث حسن . عَنْ ثَوْبَانَ.

([3]) محمد الأحمدي أبو النور ، وآخرون : موسوعة بيان الإسلام ـ الرد على الافتراءات والشبهات ـ القسم الأول : القرآن ـ المجلد الحادي عشر ج١٩ شبهات حول أحكام الأسرة في الإسلام ص ١٧٦ ـ ١٧٨ ، د/ مصطفى محمود : حوار مع صديقي الملحد ص ٨٨.

المبحث الخامس:

كشف شبهة الملاحدة في عدم مساواة الإسلام بين الذكر والأنثى في الميراث .

من الأمور المعلومة والثابتة تاريخيا أن المرأة كانت محرومة من الميراث فلما جاء الإسلام رد إليها حقها فيه، وبالرغم من ذلك يقول الملاحدة: إن شريعة الإسلام لم تسو بين الرجل والمرأة في الميراث، وهذا في نظرهم يعد ظلما للمرأة وإجحافا بها وتقليلاً من شأنها ([1]).

ولكشف هذه الشبهة نقول، هذه الشبهة باطلة من وجهين:

الوجه الأول: أن توزيع الميراث في الإسلام قد جاء وفقاً للحكمة الإلهية.

فما يصلح العباد بينه الله تعالى وأوضحه، وليس بعد بيان الله بيان، وليس بعد تشريعه تشريع، والله بهذا يقطع السبيل على كل ما من شأنه أن يكون فيه ظلم لأي إنسان، لأنه رحيم بهم، عليم بما يصلحهم لأنه خالقهم، وفي هذا يقول ابن كثير: " وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ ([2]) أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالدة بولدها، حيث أوصى الوالدين بأولادهما، فعلم أنه أرحم بهم منهما، عن عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ــ قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي،

([1]) د/ مصطفى محمود : حوار مع صديقي الملحد ص٨٥ .

([2]) سورة النساء ، من الآية : ١١ .

إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: « لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» (١).

وهكذا تتجلى رحمة الله بعباده في تنظيم أمر الميراث وأنه أعطى لكل فرد حقه .

وهؤلاء الذين يزعمون أن الإسلام قد ظلم المرأة حين لم يسو بينها وبين الرجل لا يفهمون فلسفة الإرث في الإسلام، وهي فلسفة تقوم على قواعد ومبادئ منها:

١ ـ أن المال في الحقيقة يعد ملكا لله تعالى، وقد استخلف الله الإنسان على تدبيره وإصلاح الحياة به، وليس من حقه أن يخرج على تعاليم الإسلام، باستخدام هذا المال فيما يضره أو يضر أفراد مجتمعه وأمنه، وليس من حقه أن يورث من لم يكن له حق فيه، ولا ينقص من حق صاحب الحق فيه.

٢ ـ يقوم الميراث في الإسلام على قاعدة "الغُرْمُ بالغُنْم " ومفادها: أن الأقربين أولى بالمعروف، حسب قرابتهم ودرجتهم في القرابة على أساس أن الأقارب لهم على بعضهم حقوق وعليهم واجبات، وقد روعيت هذه الحقوق والالتزامات في تحديد أنصباء الميراث .

٣ ـ يقوم نظام الميراث في الإسلام على العدالة، وهي عدالة لا تقتضي المساواة المطلقة بين المستحقين للتركة، ولكنها تقتضي أن تختلف

---

(١) صحيح البخاري ٧٨ - كِتَابُ الأَدَبِ ــ بَابُ رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ـ رقم ٥٩٩٩ ج٨ ص٨ .

الأنصبة من وارث لآخر على حسب قرب الدرجة والجهة وصلة كل وارث بالآخر ،بالإضافة إلى الالتزامات والمسئوليات المنوطة به .

وفي إطار هذه القواعد والمبادئ تختلف الأنصباء في المواريث بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة من حيث كونهما محددين للنوع، بمعنى: أن قواعد الميراث في الإسلام لم تعط للذكور ميزة مطلقة في الإرث على النساء، وذلك لأن توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفاً عاماً ولا قاعدة مطردة في توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث، بل إن استقراء حالات الميراث ومسائله يكشف عن أن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل، وهناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماما، وهناك حالات عشر أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل، وهناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال .

أي أن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل، أو أكثر منه، أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال، في مقابل أربع حالات مُحددة ترث فيها المرأة نصف الرجل (١).

ولأن المجال هنا لا يتسع لتفصيل القول في كل هذه الحالات، فإننا سنكتفي في البحث بالتمثيل لكل منها بما يفيد بيان كل حالة، على النحو الآتي:

---

(١) أحمد فائز : دستور الأسرة في ظلال القرآن ص ٣٥٤ الطبعة السادسة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م مؤسسة الرسالة،د/ عادل أحمد عبد الموجود : هجمات المستشرقين والمنصرين على المرأة المسلمة ج٢ ص٨٦٣ ـ٨٦٥ ، د/ محمد عمارة : عن التحرير الإسلامي للمرأة : النموذج والشبهات (المسلم المعاصر)، العدد ١١٠ ، السنة ٢٨ ، ص ١١٦ ـ ١١٨ .

أما الحالات الأربع التي ترث فيها المرأة نصف الرجل، فهي:

الحالة الأولى: البنات مع الأبناء.

والحالة الثانية: بنات الابن مع أبناء الابن مهما نزلوا .

والحالة الثالثة: الأخوات الشقيقات مع الإخوة الأشقاء،والأخوات لأب مع الإخوة لأب .

والحالة الرابعة: الزوجان إذا مات أحدهما وورثه الأخر .

وأما الحالات التي يتساوى فيها نصيب الأنثى مع نصيب الذكر، فمنها:

١ ـ ميراث الأب والأم إذا كان للميت ولد ذكر فإن كلا منهما يرث السدس، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ (١).

٢ ــ ميراث الأخ والأخت لأم في إرثهما من أخيهما، إذا لم يكن له أصل من الذكور ولا فرع وارث (٢)، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (٣).

٣ ــ الإخوة الأشقاء بالتساوي بين ذكورهم وإناثهم في حالة واحدة هي المعروفة بالمشتركة، وتشتمل على زوج، وأم أو جدة، ومتعدد من الإخوة للأم وشقيق فأكثر، وفيها يشارك الشقيق فأكثر الإخوة للأم في الثلث، ويرث معهم بالتساوي بين الذكور والإناث .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١١ .

(٢) لواء / أحمد عبد الوهاب : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ص٣٠٠ .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ١٢ .

وفي حالات أخرى ترث المرأة ويحرم أخوها لو وجد مكانها، كما لو تركت امرأة زوجا وأختا شقيقة وأختا لأب .

فللزوج نصف التركة، وللأخت نصفها الآخر، لكن الأخت للأب لا يمكن أن تحرم، لأن نصيبها محدد بالسدس فيعاد ترتيب التركة وتقسم على سبعة أجزاء، للزوج ٣ وللأخت الشقيقة ٣، وللأخت للأب ١، ولو كان مكان الأخت لأب، أخ لأب، فإنه لا يرث شيئا، لأن نصيبه غير مقدر، وهو يرث بالتعصيب إن بقيت بقية فقط .

ولو انحصرت التركة في بنت و١٠٠ من الإخوة لقسمت التركة على ٢٠٠ جزء ولكان للبنت ١٠٠ جزء، ولكان لكل واحد من الإخوة جزء واحد.

ومن الحالات التي تأخذ فيها الأنثى أكثر من نظيرها من الذكور، ميراث الأم مع الأب في حال عدم وجود أولاد للميت، على ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ ([1]).

فقد بينت هذه الآية الكريمة أنه في حال وجود أولاد للميت يكون لكل من الأب والأم السدس، فيستويان في الميراث، وإن لم يكن للميت أولاد وورثه أبواه، فقد نصت الآية على أن للأم في هذه الحالة الثلث، وهو ما يترتب عليه أن تأخذ الأم ضعف الأب إذا كان معهما زوج، حيث يأخذ

([1]) سورة النساء ، من الآية : ١١ .

الزوج النصف، والأم الثلث، والأب السدس، وبهذا أفتى عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ (١).

وفي جميع الحالات التي يرث وارث أكثر من غيره فإن ذلك لا يجوز أن يؤخذ على أنه تكريم لمن زاد حظه أو إهانة لمن ورث أقل، لأن رؤية الشريعة لتقسيم الإرث تتجه إلى تحقيق مقاصد عليا وحكم سامية، من أبرزها توجه الشريعة إلى توسيع قاعدة المستفيدين مع ما يستتبع ذلك من تفتيت الثروة وعدم تركيزها في أيد قليلة، ومن المستفيدين نساء كثيرات لا حَظَّ لهن من الإرث في كثير من نظم الإرث العالمية (٢).

وهذا كله يؤكد أن قاعدة التنصيف في الإرث بين الأنثى والذكر بناء على قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾(٣)، ليست قاعدة مطردة، وأنه ليس الأمر أمر تفضيل الرجل من حيث هو رجل على المرأة من حيث هي امرأة، ومن ثم لا يكون لمن يدعي أن الإسلام ظلم المرأة وحقرها لأنه أعطاها نصف الرجل في الميراث، حجة ولا برهان، وتسقط شبهتهم، ويندحر باطلهم .

ويظهر جليًّا أنهم لا يفقهون نظام الإرث في الإسلام، ولا يدركون فلسفته وعدالته هذه العدالة التي اقتضت أن يأتي علم الميراث علماً محكماً في كتاب الله تعالى، لا يحتاج إلى اجتهاد، لأن الله تعالى هو الذي شرحه

---

(١) السرخسي : المبسوط ج٢٩ ص١٤٦ ، د/ وهبة الزحيلي : الفقه الإسلامي وأدلته ج١٠ ص٧٧٨٩ .

(٢) أ ـ د/ مصطفى بن حمزة : إرث المرأة ـ الحقيقة الشرعية والادعاء ـ مجلة الأزهر ـ عدد رجب ١٤٣٦ هـ ـ مايو٢٠١٥ م الجزء "٧"السنة "٨٨ " ص ١٤٤١ .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ١١ .

وفصله في كتابه الكريم لعدة أمور، أوضحتها الآيات الكريمة في سورة النساء، ومنها:

١ ــ القضاء على ما كان معروفاً ومتبعاً في الجاهلية، فقد كانوا يحرمون النساء والأطفال من الميراث، ويفضلون بعض الأبناء على بعض.

٢ ــ إلزام الناس بما فرضه الله تعالى، حيث قال ـ عز وجل ـ: ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾([1]).

٣ ــ قطع الطريق أمام العقول والأهواء، فلا يحق لإنسان أن يقول: إن قسمة الميراث على هذا النحو غير مرضية، أو غير ذلك .

٤ ــ أن التشريع على هذا النحو، تشريع عادل وأن القسمة قسمة مرضية، فهي وصية من الله تعالى، وختام الآية السابقة يقطع الطريق على كل من تسول له نفسه، ويتعدى حدود الله تعالى، ودفع كل الشبه التي تعلق بأذهان الكثير من الناس .

وحين ينظر الإنسان في تفصيلات توزيع المواريث في الإسلام، فإنه يرى من خلالها مقدار العدالة والرحمة في هذا النظام الذي جاء به القرآن الكريم .

([1]) سورة النساء ، من الآية : ١١ .

وهذا الذي جاء به القرآن الكريم لا يجوز لأي مجتمع من الناس مهما بلغت خبرتهم وحظهم من العلم والمعرفة أن يعارضوه بآرائهم، وحسبهم قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١)، أي: أن الله تعالى قد تولى أمر تقسيم الميراث، ولم يتركه لنا، لأنه أعلم بالمستحق وبالنافع لنا من غيره ، فحيث أعطى الذكر أكثر من الأنثى كان هذا هو الصالح والنافع، وحيث أعطى الأنثى مثل الذكر أو أكثر منه كان هذا هو الصالح والنافع سواء بسواء، وليس الأمر تحيزاً لنوع على حساب الآخر .

الوجه الثاني:إذا ثبت أن قوله تعالى: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾(٢)، ليس قاعدة مطلقة تقتضي تفضيل الذكور على الإناث على ما سبق بيانه ـ فإنه يمكن أيضا من خلال ما سبق التنبيه عليه من أن فلسفة الإرث في الإسلام قد راعت المسئوليات الملقاة على المكلفين في توزيع التركات ـ أن يبطل البحث شبهة الملحدين وغيرهم من أعداء الإسلام ممن ادعوا أن الإسلام حيث أعطى المرأة نصف الذكر قد ظلمها، ونقصها حقها، وذلك كالآتي:

(١) سورة النساء ، من الآية : ١١ .

(٢) سورة النساء ، من الآية : ١١ .

إذا كان يبدو لأول وهلة أن الإسلام قد ظلم البنت، إذ جعل لها نصف حظ أخيها من تَرِكَة الأب، فإن ذلك قد قام على علة في التشريع، مفادها أن المرأة في الشريعة الإسلامية غير عائلة فهي أم، أو أخت، أو بنت، أو زوجة، وهي في كل أحوالها مسئولة من عصابتها أو زوجها في اللباس والمسكن والمأكل والمشرب، ومع ذلك فلها ذمتها المالية الخاصة بها .

والرجل في الناحية الأخرى هو المنفق المتصرف المسئول عن ذلك كله زوجاً كان أو أباً، فشرع الله له ـ صيانة له من الظلم وإعانة له على ممارسة واجباته ـ أن يرث مثل حظ الأنثيين.

فهذا التفاوت مبني على أساس التفاوت بينهما في الواجبات المالية المطلوبة، فالرجل هو رب الأسرة المكلف بالإنفاق على زوجته وأولاده، وعليه نفقة المطعم والمشرب والمسكن والمعالجة والدواء وغيرها من أمور الحياة، وهو يقدم الصداق عنواناً على رغبته في الاقتران بها، وبذله ما يجب بذله في سبيل ذلك، وعليه نفقة والديه الفقيرين والأقارب الفقراء .

أما المرأة فنفقتها على زوجها إن كانت متزوجة، أو على أبيها أو أخيها ويقدم إليها الصداق، ولا تطالب بما يطالب به الرجل، فأعفاها الإسلام من كل مسئولية مالية وبالغ في رعايتها، ومع ذلك أعطاها نصف ما يأخذ الرجل المرهق بالتكاليف المكلف بأعباء المعيشة، فهي في الواقع أكثر

منه حظاً في حيازة المال لنفسها، وهذا هو الأساس القويم في شرع الله الحكيم سبحانه وتعالى (١) .

(١) الشيخ / أحمد محيي الدين العجوز : منهاج الشريعة الإسلامية ج٣ ص٧٨ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ بتصرف ، د/ عادل أحمد عبد الموجود : هجمات المستشرقين والمنصرين على المرأة المسلمة ـ دراسة فقهية تحليلية في ضوء الواقع المعاصر وفقه الدعوة إلى الله تعالى ج٢ ص ٨٦٧ ــ ٨٦٩ ، د/ محمد إبراهيم الشريف : أحكام التركات ، الميراث والوصية، دراسة مقارنة ص٢٠٣ ، ٢٠٤ طبعة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م، مصطفى أبو الغيط : شبهات حول المرأة في الإسلام ج١ ص٢٦٦ ـ٢٦٩ ، الدكتور : يحيي هاشم فرغل : المراة بين حقائق الإسلام وأباطيل الغرب ص٧٨ ، ٧٩ ، لواء أحمد عبد الوهاب : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٩٨ ، ٢٩٩ .

تتمة: في توبة الملحد .

وتشمل:

أولا: توبة الملحد .

ثانيا: كيفية التوبة من الملحد .

أولا: توبة الملحد.

قال أبو حنيفة في (رواية) والشافعية، وأحمد في (رواية) واختيار أبي بكر الخلال : يستتاب الملحد، فإن تاب، وإلا.. قتل، فإن استتيب، فتاب.. قبلت توبته (١).

ويروى ذلك عن علي، وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ .

لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢).

---

(١) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ج ٤ص ٢٤٤ ، الجصاص : أحكام القرآن ج١ ص٦٦ ، العمراني : البيان في مذهب الإمام الشافعي ج١٢ ص ٤٩، الشرح الكبير على متن المقنع ج١٠ ص٨٩ .

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: أستتيبه كالمرتد، فإن أسلم خليت سبيله، وَإِنْ أَبَى قَتَلْتُهُ. / الجصاص : أحكام القرآن ج٣ ص٢٧٤.

قال العمراني : [إذا أسلم المرتد صح.. إسلامه ولم يقتل، سواء كانت ردته إلى كفر يتظاهر به أهله كاليهودية والنصرانية وعبادة الأصنام، أو إلى كفر يستتر به أهله، كالزندقة و (الزنديق) : هو الذي يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، فمتى قامت بينة: أنه تكلم بما يكفر به.. فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا.. قتل، فإن استتيب، فتاب.. قبلت توبته.] ./ البيان ج١٢ ص٤٩ .

(٢) سورة الأنفال، الآية : ٣٨.

وبقَوْله تَعَالَى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ إلى قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُنْ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ (١) الآية. فأثبت الله لهم التوبة بعد الكفر وبعد الإسلام.

ولقول رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(٢)،وهذا قد قالها.

وعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، أَنَّ رَجُلًا، سَارَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَلَمْ نَدْرِ مَا سَارَّهُ بِهِ حَتَّى جَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، فَإِذَا هُوَ يَسْتَأْمِرُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: بَلَى، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُصَلِّي؟» قَالَ: بَلَى، وَلَا صَلَاةَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللَّهُ عَنْ قَتْلِهِمْ»(٣)،ولأن المنافقين في زمان النَّبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كانوا يظهرون الإسلام ويُسِرُّون الكفر، و (كان النَّبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يعرفهم بأعيانهم، والآيات تنزل عليه بأسمائهم وكناهم ولا يتعرض لهم) .

---

(١) سورة التوبة ، من الآية : ٧٤ .

(٢) صحيح البخاري ـــ ـ ٨ - كِتَابُ الصَّلاَةِ ـــ ـ بَابُ فَضْلِ اسْتِقْبَالِ القِبْلَةِ ـــ رقم ٣٩٢ ج١ ص٨٧ .

(٣) مسند الشافعي ـــ كِتَابِ الْأُسَارَى وَالْغُلُولِ وَغَيْرِهِ ص ٣٢٠.دار الكتب العلمية ـ بيروت ،عام النشر ١٤٠٠هـ .

ثانيا: كيفية التوبة من الملحد .

إن كان الملحد لا تأويل له في كفره، فيكفيه في الإسلام: أن يأتي بالشهادتين؛ لقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ »(١) .

وإن كان متأولا في كفره، لم يحكم بإسلامه حتى يأتي بالشهادتين،ويبرأ معهما من كل تأويل مخالف لدين الإسلام، ويقر بوجوب ما جحد وجوبه، وتحريم ما استباحه من ذلك؛ لأنه كذب الله ورسوله بما أخبرا به، فلم يحكم بإسلامه حتى يقر بتصديقهما بذلك (٢).

وإن طلب الْمَهْلَ بَعْدَ الْعَرْضِ لِلتَّفَكُّرِ حُبِسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لِأَنَّهَا مُدَّةٌ ضُرِبَتْ لِإِبْلَاءِ الْأَعْذَارِ(٣).

---

(١) صحيح البخاري ٩٦ ـ كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ـ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} ج٩ ص ١١٢.

(٢) العمراني : البيان ج١٢ ص ٤٩ ـ ٥٠ ، ابن الملقن :التذكرة ص: ١٢٩، حاشية الجمل على شرح المنهج : ج٤ ص ٢٦.

(٣) بداماد أفندي : مجمع الأنهر ج١ ص٦٨٠،د/ وهبة الزحيلي الفقه الإسلامي وأدلته ج٧ ص ٥٥٦٦، ٥٥٦٧.

وعند الحنيفة : يستحب له الإمهال،، ويمهل ثلاثة أيام إن طلب ذلك./ السرخسي : المبسوط ج١٠ ص ٩٨، رد المحتار على الدر المختار :حاشية ابن عابدين ج٤ ص ٢٢٥.

وعند الحنابلة :تجب الاستتابة ويمهل ثلاثة أيام . / المرداوي : الإنصاف ج١٠ ص ٣٢٨، ابن ضويان : منار السبيل ج٢ ص ٤٠٥.

ويعرض عليه الرجوع إلى الإسلام، ويناقش في الشبهة أو الشبهات التي طرأت على فكره، والكشف له بالحجة والبرهان عن وجه الحق فيها بمنهج القرآن الكريم في هذا الصدد ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١)، ويوعظ ويرشد بلا تخويف ولا تهديد ويطعم ما يكيفيه – هكذا قال الفقهاء – ولا بأس من إطالة مدة الإمهال إن طلب المرتد ذلك أو رجا الناصحون فيه خيراً.

*** فإن أبى الرجوع بعد النصح والتوجيه يحكم القاضي بردته ويقام عليه الحد بالسيف دفعاً للتعذيب، وليس في هذا إكراه له على الرجوع إلى الإسلام؛ لإن الحد لا يقام عليه إلا في حالة اليأس من عودته (٢).**

ومع ذلك فإن عقوبة المرتد بالقتل ليست أمراً متفقا عليه .

فقد جاء عن النخعي من التابعين، وعن الثوري من الأئمة، ومن المعاصرين الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد المتعال

وعند الشافعي في أظهر الأقوال يجب الاستتابة وتكون في الحال فلا يمهل./ الشيرازي : المهذب ج٢ ص ٢٢٣، الخطيب الشربيني : مغني المحتاج ج٥ ص ٤٣٦ .

عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتِ: ارْتَدَّتِ امْرَأَةٌ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنْ تُسْتَتَابَ ، فَإِنْ تَابَتْ ، وَإِلَّا قُتِلَتْ».// سنن الدارقطني – ٣٢١٤ ج٤ ص١٢٨ .

(١) سورة النحل ، من الآية : ١٢٥ .

(٢) الخطيب الشربيني : مغني المحتاج ج٥ ص٤٣٦ ، العمراني : البيان ج١٢ ص٤٢ ـ ٤٥ ،الماوردي : الحاوي الكبير ج١٣ ص ٤٤٢ ـ ٤٤٧ ، د/ عبد العظيم المطعني : عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين ص ٨١ ــ ٨٤.

الصعيدي: أن عقوبة المرتد تكون بالسجن ونحوه، والحوار وطلب التوبة منه دائما (١).

وقال الدكتور / محمود حمدي زقزوق: إذا احتفظ المرتد لنفسه بأفكاره ولم يؤذ بها أحدا من الناس فليس من حق أحد أن يعاقبه على ذلك بعقوبة دنيوية، أما إذا حاول نشر أفكاره التي تتناقض مع معتقدات الآخرين وتتعارض مع قيمهم التي يدينون لها بالولاء وأثار بذلك الفتنة والشكوك في نفوس الناس، فإنه يكون قد اعتدى على النظام العام للدولة .

وأي إنسان يعتدي على النظام العام للدول في أي أمة من الأمم أو ينحاز إلى صفوف الأعداء ويحرضهم ضد مواطنيه فإنه يتعرض للعقاب، وقد يصل الأمر في ذلك إلى حد تهمة الخيانة العظمى التي تعاقب عليها كثير من الدول بالقتل .

وهنا يكون قتل هذا الشخص لا لأنه ارتد عن الدين، ولكن بسبب إثارته الفتنة والبلبلة وتعكير النظام العام في الدولة الإسلامية وتحريض أعدائها عليها، أما إذا ارتد دون أن ينشر ذلك بين الناس، ودون أن يثير الفتنة والشكوك في نفوسهم فلا يستطيع أحد أن يتعرض له بسوء، فالله وحده

---

(١) العمراني : البيان ج١٢ ص٤٦ ، الإمام الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ص٢٥٢ ، ٢٥٣ ط٢٩ ، ٢٠٠٧ م دار الشروق ، الشيخ عبد المتعال الصعيدي : الحرية الدينية في الإسلام ص٥ ـ ٨ طبعة ٢٠٠١ م دار المعارف .

هو المطلع على ما تخفي الصدور، ولسنا مكلفين بالتفتيش في نفوس الناس، وما تخفيه صدورهم (١).

وأما الآثار المترتبة على الإلحاد فتحتاج إلى بحث مستقل ليس هذا موضوعه .

(١) د/ محمود حمدي زقزوق :الإسلام في مواجهة حملات التشكيك ص٨٠ وما بعدها دار المعارف ، سلسلة اقرأ ٦٥٤ ، القاهرة ٢٠٠٠ م .

الخاتمة:

تشمل أهم النتائج المستفادة من البحث .

١ ـ الإلحاد فِي اللُّغَةِ: المَيْلُ عَنِ القصْد، والجورُ عنه، والإعراض، ثم يستعمل في كل معوَجّ غير مستقيم.

٢ ـ الإلحاد في الشرع: الميل عن الطريق المرسوم، والكفر بجميع الأديان، وإنكار جميع الرسالات .

٣ ـ المُلْحِدُ: العادِلُ عَنِ الْحَقِّ المُدْخِلُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، والملحد من مال عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر، والْمَلَاحِدَةُ: الطَّاعِنُونَ فِي الدِّينِ، الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا بمحمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٤ ـ الإلحاد في الاصطلاح عند المتقدمين له عدة معاني منها:الإلحاد في الدين، وهو، الطعن فيه أو الخروج عنه . ومنها: الميل عن الحق والصراط المستقيم علماً وعملاً، وهذا عام يشمل كل انحراف عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر .

والإلحاد عند المعاصرين، يسمى بالإلحاد المادي الحديث: ويقوم على إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، واعتبار تغيرات الكون قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة، وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة .

٥ ـ الإلحاد في الدين والطعن فيه، ليس جديداً؛ حيث وجد منذ عصور الإسلام الأولى من يقدح فيه أو يلحد في آياته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١).

٦ ـ نشأ الإلحاد الحديث مع العقلانية والشيوعية والوجودية، حيث قام بعض الملحدين بنشر الإلحاد في الأرض مستغلين محاربة الكنيسة للعلم، فجاءوا بثورة العلم ضد الكنيسة، والثورة الفرنسية، والداروينة، والفرودية، وبهذه الدعوات الهدامة للدين والأخلاق تفشى الإلحاد في الغرب.

٧ ـ الهدف الأعظم للملحدين هو محاربة وتشويش كل دين على الأرض.

٨ ـ ساعد على انتشار الإلحاد في العصر الحاضر واستعلان الملحدين عاملان رئيسان:

أولهما: انتشار وسائل الاتصال والتواصل الحديثة التي وفرتها الشبكة العنكبوتية.

ثانيهما: عدم التصدي الحازم لمن يتطاول ويتعدى على الأديان.

٩ ـ من أسباب الإلحاد:

أ ـ أن ينشأ الشخص في بيت خال من آداب الإسلام ومباديء هدايته، فأقل شبهة تمس ذهن هذا الناشيء تنحدر به في هاوية الضلال .

ب ـ أن يتصل الفتى الضعيف النفس بملحد يكون أقوى منه نفسا، وأبرع لساناً، فيأخذه ببراعته إلى سوء العقيدة، ويفسد عليه أمر دينه .

ج ـ أن يقرأ الناشئ مؤلفات الملحدين وقد دسوا فيها سموما من الشُبه تحت ألفاظ منمقة، فتضعف نفسه أمام هذه الألفاظ المنمقة، والشُبه المبهرجة، فلا يلبث أن يدخل في زمرة الملاحدة الأعداء.

---

(١) سورة فصلت ، الآية: ٤٠ .

د ـ أن تغلب الشهوات على نفس الرجل، فتريه أن المصلحة في إباحتها، وأن تحريم الشارع لها خال من كل حكمة، فيخرج من هذا الباب إلى إباحية وجحود، فلا حلال ولا حرام في ظلال مملكة الإلحاد، ولا رقيب ولاحساب ولا جزاء .

و ـ الجهل بدين الإسلام ومحاسنه، إذ لو أقبل هؤلاء على هذا الدين لكفاهم عن كل نظرية وعن كل فكر وعن كل فلسفة .

هـ ـ وهو الأهم، وهو السبب الراجع إلى الملحد نفسه، فما ألحد أحد ونكص على عقبيه إلا وقد أُتي من قبل كِبر في نفسه، ومن ثمرات هذا الكبر: أن يكذب بدين الله، الإعراض ورفض الاستماع للحق، الفرح بما عنده من علوم كاسدة يعارض بها شرع الله عز وجل .

١٠ ـ أسباب انتشار الإلحاد: منها ما يعود إلى المجتمع الذي عاش فيه، ومنها ما يعود إلى شخصيات مؤسسيها المنحرفة، ومن هذه الأسباب:

أ ـ اقتران الإلحاد بالقوة المادية.

ب ـ ما وصل إليه الملاحدة من اكتشافات علمية هائلة مكَّنهم الله منها استدراجاً لهم، وإقامة للحجة عليهم.

ج ـ بعض تلك الأسباب يعود إلى أمور سياسية كحبّ اليهود السيطرة على العالم.

د ـ الرغبة الجامحة عند البعض في الانفلات التام عن الدين وأوامره ونواهيه؛ لتحقيق رغباته الشهوانية المختلفة.

١١ ـ أسباب انتشار الإلحاد بين المسلمين:

أ- الحياة الجديدة ومباهجها، مع ضعف الرقابة والتوجيه ؛ وغياب دور العلماء . ب- الفراغ.

ج – حب التقليد . د ـ أخطاء بعض المتدينين. هـ ـ أعمال التفجير والتكفير.

١٢ ـ من آثار الإلحاد في حياة الإنسان:

أ ـ القلق والصراع النفسي . ب ـ الأنانية والفردية . ج ـ فقد الوازع، والنزوع إلى الإجرام .

د ـ هدم النظام الأسري . هـ ـ تخريب المجتمعات .

١٣ ـ مواجهة الإلحاد تتم بطريقين متوازيين:

الأولي: وقائية لحماية الشباب وغيرهم من التأثر بحملات التغريب والتشكيك في الدين.

وتهدف إلى بذل الأسباب التي تحول بتوفيق الله بين الشباب المسلم وبين الوقوع في براثن الإلحاد، ومنها:

أ ـ غرس العقيدة الصحيحة في النفوس بكل وسيلة .

ب ـ تقوية الشعور بالاستعلاء الإيماني والنعمة الإيمانية .

ج ـ الترشيد الثقافي، بملاحظة مصادر التلقي التي يستقي منها الشباب أفكارهم .

دـ تأصيل المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات .

هـ ـ إقامة حكم الله عز وجل فيمن وقع في هذا الكفر الغليظ، وبهذا يرتدع الآخرون .

والطريقة الثانية: علاجية، تتعامل مع الحالات التي ظهرت، والبؤر المحتملة لظهور المزيد منها. فعلاج من وقع ـ بالفعل ـ في حمأة الإلحاد: يكون بالمناصحة الإيمانية والعقلية، لمن عرضت له شبهة إلحادية فوقع في شك، غير أنه لا يدعو إليه، ولا يسخر من الشريعة، وينبغي أن

يتصدى له داعية على علم، عنده باع في هذا الأمر،وأن يستشعر جانب الرحمة والشفقة بهذا المنصوح الذي اجتالته الشياطين.

أما المتمرد الذي يدعو إلى الإلحاد، ويقيم عليه الأدلة، ويسخر من الشريعة وأهلها، فهذا يجب أن يرد عليه ولا يجوز السكوت على باطله .

١٤ ـ من الأفكار التي تمكننا من التصدي لظاهرة الإلحاد:

أ ـ العناية بالرسوخ العلمي الذي يناقش تفاصيل القضايا العقدية والفكرية القديمة والمعاصرة.

ب ـ فتح المراكز المتخصصة في رصد الأفكار التي تبث في مواقع النت وكتابات الكتاب، ومعالجتها من خلال اجتماع فئات من المتخصصين في المجالات الشرعية والفكرية والعلمية.

ج ـ دعوة طلاب الدراسات العليا في أقسام العقيدة والدعوة إلى مواجهة هذا الفكر الهدام من خلال أطروحات علميه دقيقة .

د– محاربة وسائل الإعلام الخبيثة، وتعزيز الرقابة والتوجيه في المجتمع.

١٥ ـ كشفت شبهة الملاحدة على جعل الطهارة عبادة، بما يلي:

أ ـ أن الطهارة عبادة لله رب العالمين، لقول رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ..» ([1]).

ب ـ إن الدين الإسلامي لَمْ يُشَرِّعْ لِلنَّاسِ شيئا إلا وكان فيه دفع لضرر أو مفسدة، أو جلب لنفع أو مصلحة، وهو يهدي الناس إلى معرفة أحكامه مع معرفة حِكَمِهَا الْكَاشِفَةِ لَهُمْ عَنْ فَوَائِدِهَا وَمَنَافِعِهَا.

([1]) أخرجه مسلم في ـ ٢ - كِتَابِ الطَّهَارَةِ ١ - بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ ـ رقم ١ (٢٢٣) ج١ ص٢٠٣ .

ج ـ إن أمر الأمم بالأعمال والآداب التي تفيدها في مصالحها الاجتماعية، ومنافع أفرادها الشخصية، ونهيها عن الأفعال التي تضر الأفراد والجمهور لا يقبلان ويمتثلان بمجرد تعليلهما بدفع الضر وجلب النفع؛ إلا بسبب دعوة دينية، أو تقاليد أوصلهم إليها اختبارهم الموافق لطبيعة معاشهم.

د ــ للطهارة فوائد ذاتية، وفوائد دينية.

فأما الفوائد الذاتية للطهارة، فأهمها ما يلي:

* ـ الغسل يؤثر إيجابياً على صحة البدن، فهو طريقة فعالة من طرق الطب الوقائي لحماية الإنسان من الأمراض والعلل، كما أنه يضفي على نفس المؤمن راحة وطمأنينة وسعادة .

*ــ الوضوء وسيلة فعالة جدا للتغلب على التعب والإرهاق، وعلاج خفي لسائر أعضاء الجسم، ويجعل المسلم دائما في يقظة وحيوية وتألق، ويجدد خلايا الجسم ويمدها بالطاقة، ويعيد توازن الطاقة التي تسري في مسارات جسم الإنسان، ويصلح ما بها من خلل، وتدليك أعضاء الوضوء جيداً بانتظام يقوي الدورة الدموية ويزيد من نشاط ومناعة الجسم .

* ــ المضمضة واستخدام السواك: يحفظان الفم والبلعوم من الالتهابات،ومن أمراض اللثة والأسنان من التسوس، والاستنشاق يقي الأنف من الأمراض ويمنع الجراثيم من الانتقال إلى الجهاز التنفسي.

وأما الفوائد الدينية من جعل الطهارة من أحكام الدين وعبادته فأربع هي:

الفائدة الأولى: أن يتفق على المواظبة عليها كل مذعن لهذا الدين ؛ ولا تختلف فيها الآراء، ولا تحول دون العمل بها الأهواء، كما هو شأن البشر في جميع ما يستقلون فيه من الأشياء.

الفائدة الثانية:أن تكون من المذكرات لهم بفضل الله ونعمته عليهم، فإذا تذكروا أنه يرضيه عنهم أن تكون أجسادهم على أكمل حال من النظافة والطهارة، ويتذكرون أن أهم ما فرض عليهم لأجله تطهير أجسادهم هو أنه من وسائل تزكية أنفسهم وتطهير قلوبهم وتهذيب أخلاقهم التي يترتب عليها صلاح أعمالهم، فيعنون بالجمع بين الأمرين؛ توسلا بهما إلى سعادة الدارين، كما هو مقتضى الإسلام.

الفائدة الثالثة: أن مجرد ملاحظة المؤمن امتثال أمر الله تعالى بالعمل، مما يغذي الإيمان به، ويطبع في النفس ملكة المراقبة له، فيكون له عند كل طهارة، جذبة إلى حظيرة الكمال المطلق، تتزكى بها نفسه، وتعلو بها همته، وتتقدس بها روحه، فيصلح بذلك عمله، وقس على هذه العبادة سائر العبادات .

الفائدة الرابعة: اتفاق المؤمنين على أداء هذه الطهارات بكيفية واحدة، وأسباب واحدة أينما كانوا ومهما كثروا وتفرقوا، من أسباب الاتفاق في القلوب ؛ فكلما كثر ما تتفق به كان اتحادها أقوى.

١٦ ـ وكشفت شبهة الملاحدة في الزكاة: أن الشعب يعيش عالة على الصدقات التي يدفعها المحسنون من الأغنياء؟ وتسمون هذه عدالة؟ وترضون لكرامة الناس هذا الهوان؟ بما يلي:

أ ـ أن أبرز خطأ وقع فيه الملاحدة، هو ظنهم أن الزكاة صدقة يتفضل بها الأغنياء على الفقراء، ولا يمكن أن يتصور المسألة على هذا الوضع إنسان له عقل سليم، فأبسط قدر من المنطق كفيل بأن يقنعهم أن الإحسان تطوع لا يفرضه حاكم ولا تشريع، والزكاة فريضة يقررها الشرع، فهي الركن الثالث من أركان الإسلام .

ب ــ الزكاة ليست إغراءً بالبطالة ولا تشجيعاً للكسالى والقاعدين، فلا تحل لغني ، ولا لقوي مكتسب، والدولة في الإسلام مكلفة بتوجيه أفرادها إلى العمل كل بما يناسبه، فأما إذا عجز بعض أفراد المجتمع عن العمل لضعف ذاتي، كالصغر والأنوثة، والعتة، والشيخوخة، والمرض، فكفالتهم على بيت المال، حتى تذهب الحاجة عنهم، وهم كرماء على أنفسهم وعلى الدولة وعلى الناس .

ج ــ أن الذي يوزع حصيلة الزكاة على الفقراء هو الدولة ذاتها لا الأغنياء بأشخاصهم، فإذا كانت الدولة تقوم بكفالة المحتاجين، فليس هذا تفضلاً وإحساناً، وليس فيه ما يغض من كرامة المحتاجين، فمبدأ كفالة الدولة للمحتاجين هو أحدث المبادئ التي اهتدت إليها البشرية .

د ـ ليس في الإسلام ما يمنع من صرف الزكاة في (المصالح العامة)، فقوله تعالى: ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١)، عام يشمل كل ما يحفظ للأمة مكانتها المادية والروحية ويحقق شعائرها على الوجه الذي به تتميز عن غيرها، وتقضي به حاجتها .

هـ ـ ليس أصلاً من أصول المجتمع الإسلامي أن يكون فيه فقراء يعيشون من أموال الزكاة، وإنما الفقر أو الحاجة أمر يعرض لكل مجتمع، فلا بد من تشريع لمواجهته.

و ـ إن مرتكز نظام المال في الإسلام هو الزكاة، فهي بمثابة العمود الفقري فيه، إذ أن نظام المال في الإسلام يقوم على أساس الاعتراف لله بأنه المالك الأصيل، وبالتالي الاعتراف بأن له وحده الحق في تنظيم

(١) سورة التوبة ، من الآية : ٦٠.

قضية التملك والحقوق فيه ومآله، والزكاة هي التعبير العملي عن هذا كله.

ذلك شأن الزكاة، أما " الصدقات " الحقيقية، أي الأموال التي يخرجها الأغنياء تبرعاً وإحساناً، فقد أقرها الإسلام ودعا إليها وجعل لها صوراً شتى، فمن إنفاق على الوالدين والأقربين، إلى إنفاق على المحتاجين عامة، إلى تصدق بالعمل الطيب والكلمة الطيبة، ولا يقول أحد إن الإنسان حين يكرم أهله يكون مسيئاً لمشاعرهم، محقراً لهم، وإنما هو الود والتعاطف وجمع الشمل وتأليف القلوب.

فالهدف من الزكاة هو تحقيق التكافل المادي بين المسلمين، وتطهير نفس صاحبها من داء الشح والبخل،وإزالة الأحقاد والضغائن التي تكون في صدور الفقراء والمعوزين.

وللزكاة فوائد اقتصادية، ففيها تنمية وتوسعة وبسطاً للأموال، فإن الأموال إذا صرف منها شيء اتسعت دائرتها، وانتفع بها الفقير من الناس، بخلاف ما إذا كانت دولة بين الأغنياء، والزكاة لا تفرض على الشخص وإنما تفرض على الدخل أو الثروة.

وتفرض الزكاة على الثروة بمعدل ٢/٥%، أما إذا كانت على الدخل فإنها تفرض بمعدل ٥ أو ١٠%.،والزكاة على الثروة تؤدى أن يعمل مالك هذه الثروة على استثمارها ليتحقق منها عائد، وبهذا يحافظ مالك هذه الثروة على أصلها ويدفع الزكاة من الدخل الذي يتحقق من استثمارها، والمجتمع تتحقق له فائدة من ذلك، فاقتصاد هذا المجتمع ينمو ويتقدم ويتطور حيث كل ادخاراته تتحول إلى أصول رأسمالية تعمل في جميع المجالات الاقتصادية.

فهذه الفوائد كلها في الزكاة تدل على أن الزكاة أمر ضروري لبناء مجتمع صالح متكامل متكافئ بقدر الإمكان، وأن الإسلام لم يهمل الأموال ولا المصالح التي يمكن أن تبنى على المال، ولم يترك للنفوس الجشعة الشحيحة الحرية في شُحها وهواها، بل هو أعظم موجه للخير ومصلح للأمم .

١٧ ـ وكشفت شبهة الملاحدة في أن الصيام يضعف الإنسان بما يلي:

أ ـ أن هذه التهمة سببها خطأ الصائمون، لأنهم يقومون أثناء شهر رمضان بالسهر طوال الليل، فمن الطبيعي أن يذهب الناس إلى أعمالهم في حالة من الإعياء الشديد، ولو أن المسلمين ناموا مبكِّرين، وأخروا السحور كما أمرهم نبيهم لكان سببا في نشاطهم .

ب ـ من أهداف الصيام: غرس خلق المراقبة وخلق الصبر في نفوس المؤمنين، وبهما تصدق النية وتقوى العزيمة فيثبتون لحوادث الدهر، وهو شهر من اثني عشر شهرا، متتابع الأيام، ليغرس بهذا التتابع ملكة الصبر والمراقبة، ثم جعله في كل عام، ليتكرر الدرس وينمو الغرس .

ج ـ الصوم مدداً قويا لجند الخير في الإنسان، به يزكو القلب وتصفو النفس، وتتهذب الروح ويصير الإنسان منبعا فياضا للخير على نفسه، وعلى بني وطنه وجنسه .

د ـ فوائد الصيام:

فوائد الصوم ليست مقصورة على الجوانب الروحية والعاطفية؛ فالعلم الحديث يكشف الدليل بعد الآخر على الفوائد البدنية والنفسية للصيام الإسلامي منها:

أولاً: الوقاية من العلل والأمراض منها على سبيل المثال لا الحصر:

ـ يقوي الصيام جهاز المناعة، فيقي الجسم من أمراض كثيرة.

ـ الصيام الشرعي يعتبر النموذج الفريد للوقاية والعلاج من السمنة في آن واحد.

ـ الصيام يقي الجسم من تكون حصيات الكلى.

ـ يقي الصيام الجسم من أخطار السموم المتراكمة في خلاياه، وبين أنسجته.

ـ الصيام يخفف ويهدئ ثورة الغريزة الجنسية، وبذلك يقي الجسم من الاضطرابات النفسية والجسمية.

ـ الصيام يعتبر وقاية من الأمراض العقلية والنفسية.

ثانيا: بعض الأمراض التي يعالجها الصيام:

ـ الأمراض المصحوبة بقيء أو إسهال أو ارتفاع في درجة الحرارة .

ـ الأمراض الناتجة عن السمنة: كمرض تصلب الشرايين، وضغط الدم، وبعض أمراض القلب .

ـ يعالج بعض أمراض الدورة الدموية الطرفية مثل: مرض الرينود، ومرض برجر.

ـيعالج الصيام المتواصل (الطبي) مرض التهاب المفاصل المزمن (الروماتويد).

ـ يعالج الصيام ارتفاع حموضة المعدة، وبالتالي يساعد في التئام قرحة المعدة مع العلاج المناسب.

ومن الفوائد الأخرى التي تجنى بالصوم:

ينشط الصيام آليات الاستقلاب أو التمثيل الغذائي، لتقوم بوظائفها على أكمل وجه ، ويقاوم الشيخوخة، يستفيد الإنسان من العطش أثناء الصيام في تحسين القدرة على التعلم، وتقوية الذاكرة .

١٨ ـ وكشفت شبهة الملاحدة في أن مناسك الحج بقايا وثنية صريحة بما يلي:

أولاً: ملابس الإحرام :هي رمز للتجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل ما سوى الله، ورحلة من البدايات إلى النهايات، فالإنسان يولد على الفطرة ويداه مضمومتان، ويموت ويداه مبسوطتان لم يجمع فيها إلا ما قسمه الله له.

ثانياً: الطواف:إن الطواف حول الكعبة من مميزات الإسلام بين الأديان،والطواف ببيت الله مطلوب في غير الحج والعمرة ممن حضر البيت، إذ هو تحية المسجد الحرام،والكعبة التي جعلها الله للناس مطافاً في الحج جعلها الله للناس قبلة في الصلاة .

فالطواف جزء من كل يمثل الجاذبية التي ينبغي أن تكون بين العبد وبين بيت الله، فالطواف دوران القلب حول قدسية الله، صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم، الذي ترى نعمه، ولا تدرك ذاته.

والعلم الحديث يبين لنا إدراك حكمة الطواف، فالعلم يبحث عن أسرار الفطرة، وفاطر الفطرة سبحانه هو الذي تعبد الإنسان بالطواف بالبيت الحرام، فليس بممتنع أن يكون الطواف رمزاً إلى سر عظيم تستوي فيه الروح والمادة، وأن يكون فيما كشف عنه العلم من أسرار الفطرة ما يدل عليه أو يشير إليه .

فالطواف مظهر لسنة عامة في الخلق، وكل ذرة من مادة في الكون فيها طائف ومطوف به، المطوف به دائما واحد والطائف كثيراً ما يتعدد، ففي كل ذرة نواة واحدة تطوف بها الكهيربات قلت أو كثرت، وفي كل مجموعة شمسية شمس واحدة تطوف بها سياراتها، قلت أو كثرت كذلك، والعالم المجري بملايين شموسه وكواكبه يدور أو يطوف حول شيء واحد، وتوحد

المطوف به في كل حالة مع تعدد الطائفين في الكثرة الغالبة من الأحوال يريك وجه الشبه واضحاً بين الطواف الذي هو من قوام الحج، وبين ظاهرة الطواف التي فطر الله عليها الكون، أذن الكون كله يدور، الكون كله يطوف، ونحن كبشر جزء من الكون لابد أن نطوف حول البيت الذي بنته الملائكة وأعاد سيدنا آدم بناءه ثم سيدنا إبراهيم .

ومن ثم يتجلى لنا تطابق النصوص الدينية الإسلامية مع نظام المادة، مما يُدلِّل على أن الإله الخالق لهذه المادة المتكونة من الذرات هو الذي أنزل الدين الحق على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي يتجلَّى فيه ناموس الكون، ألا وهو الإسلام.

ثالثاً: الحجر الأسود : الحجرٌ الأسود من الجنة وكان دُرَّة بيضاء فسوَّدته ذنوب البشر، كما أنّه من أحسن وأفضل أنواع أشباه الموصلات في الكون، يسجل اسم من قبّله أو أشار إليه أو استلمه في سجل التشريفات الإلهية،حاجا أو معتمراً، "يكتب اسمه في المرة الأولى ثم يضع علامات معينة بعدد مرات حجه واعتماره"!! طبيعة هذه المادة تثبت أنّه ذاكرة من صنع الخالق وليست من صنع البشر، وأنه ليس له مثيل .

رابعا: السعي بين الصفا والمروة :السعي بين الصفا والمروة إشارة إلى أن الأرض عبارة عن قطبين مغناطيسيين شمالي وجنوبي، والصفا والمروة هما المغناطيس المصغر للكرة الأرضية،وأنة شحن للإنسان الذي يسعى بين الصفا والمروة أي نفس القوة المغناطيسية في الكرة الأرضية هي نفس القوة الموجودة بين الصفا والمروة لكنها مصغرة، فأنت تشحن مغناطيسيا بالسعي بين الصفا والمروة، ثم تهرول عند منطقة الزوال المغناطيسي التي تقبل القوة المغناطيسية أو تنعدم بين القطبين

المغناطيسيين،وبعد هذا الشحن الذي اكتسبه من السعي بين الصفا والمروة أما أن تحلق وأما إن تقصر.

خامسا: الوقوف بعرفة: إن الشيطان يكون أحقر ما يكون في عرفة ولذا يحقد على الحجاج،لأنه يضلهم طوال السنة ويغفر الله لهم ذنوبهم في يوم عرفة، ففي عرفة نغتسل من ذنوبنا .

سادسا: المبيت بمنى :بعد طواف الإفاضة يعود الحاج للمبيت في منى كي يرمي في ثاني أيام النحر، اليوم الأول من أيام التشريق الجمرات الثلاث، بعد الزوال، ويفعل ذلك في اليوم الثاني عشر، فكأنه يدرب نفسه على مقاومة حظ الشيطان في نفسه، فما الرمي إلا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر، ونزعات النفس.

فالحج استشعار حقيقي لمشاهد يوم القيامة ،وللحج فوائد طبية وروحية أكثر من أن تحصى فهو علاج وشفاء ومتعة للجسد والروح .

١٩ ـ وكشفت شبهة الملاحدة في الدعوة إلى إباحة الاختلاط والعلاقات الحرة بين الرجال والنساء

بما يلي:

بأن تحريم العلاقات الحرة بين الرجال والنساء هو تشريع الله الخالق لعباده العليم بما ينفعهم وما يضرهم، وللخلوة والاختلاط بين الجنسين مضارَّ كثيرة على الفرد والمجتمع، ويترتب على العلاقات الحرة بين الرجال والنساء آثار اجتماعية،وصحية،ونفسية، واقتصادية على الفاعل والمجتمع:

أولا: الآثار الاجتماعية المترتبة على العلاقات الحرة بين الرجال والنساء :

أ ــ انعدام الغيرة، وفساد الأخلاق، واضمحلال القوى الجسدية والفكرية في شباب الأمة،وهذا بالطبع يؤدي إلى أن يورد المجتمع موارد الهلاك والدمار والعطب والفناء وفشوّ الفاحشة.

ب ــ إن المرأة التي يزني بها رجل ويصيرها أماً لولد، تخيب حياتها وتفسد للأبد، وينصبُّ عليها وابل من الذلة والنكبة والمقت العام، لا ينقطع عنها ما دامت حية .

فإن إعطاء الأفراد حرية الزنا والفحشاء عدوان على المجتمع، بل هدم لكيانه .

ثانيا: الآثار الصحية المترتبة على العلاقات الحرة بين الرجال والنساء:

إن أول ما يجنيه الزاني من عمله، هو أنه يعرض نفسه لخطر الإصابة بالأمراض السارية القاتلة منها السيلان،والزهري، والإيدز ذلك الوباء الذي اجتاح الهلع منه والرعب دول العالم أجمع وعلى الأخص الدول الغربية؟ إنه طاعون العصر للذين استعلنوا بالفاحشة وغرقوا في أوحال الرذيلة.

ثالثاً: الآثار النفسية للعلاقات الحرة بين الرجال والنساء:

إن القائلين بالعلاقات الحرة بين الرجال والنساء لا دراية لهم بالنفس البشرية، والشاهد من واقعنا أن الذي يطلق لنفسه العنان في إشباع رغباته الجنسية يأتي عليه بعد فترة شعور بالألم النفسي، والحسرة، وعدم الاستقرار، وينظر لمن عَفَّ نفسه بالحلال وأصبحت له أسرة وأطفال نظرة غِبطَة، ويتمنى أن لو كان مكانه، وكذلك المرأة التي لا تبالي بأي قيود، تشعر هي الأخرى بعد فترة بالتمزق النفسي وتتمنى أن لو كان لها زوج وأطفال من الحلال، هذا لأن الإنسان كما هو محتاج لإشباع جسده فهو محتاج لإشباع روحه، وإشباع روحه لا يأتي إلا بالتقرب إلى من خلقها .

رابعاً: الآثار الاقتصادية للعلاقات الحرة بين الرجال والنساء:

إن طغيان الرذائل والفواحش والمثيرات في المجتمع يلحقها بشكل عفوي شيوع الترف والتبذير والبذخ وإهدار الأموال وتفتيت الثروات وتبديدها فيما يعود على الناس بأسوء العواقب، وبذلك تضيع على الأمم والشعوب طاقات وإمكانيات كان يمكن الإفادة منها في مجالاتها الخيرة كالصناعة والزراعة والعمران وسواها من المجالات التي تحقق لها الرقي والتقدم والرفاهية .

فالذين يقضون أوقاتهم في سوق الملذات والشهوات وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة يسببون انهيار الاقتصاد في الأمة وذلك: لضعف القوى، وقلة الإنتاج، واتخاذ الكسب غير المشروع .

خامسًا: آثار العلاقات الحرة بين الرجال والنساء على المجتمع الإسلامي :

أ ــ إن الأخطار الصحية التي تلحق الزاني في حياته، وهي ما تسمى بالأمراض المعدية كالزهري، والسيلان تنتقل بالوراثة إلى البنين والبنات، ومن ثم تلحق المجتمع بأسره.

ب ــ إن الزاني يُبتلى بالسفاسف الخلقية من وقاحة وخديعة وكذب وأثره وخضوع للشهوات وجموح النفس وتشرد الفكر وتطلعه إلى كل جديد وغدر وقلة وفاء .

ج ــ ومما تستلزمه إباحة الزنا أن تجري في المجتمع حرفة البغاء .

د ـ إن من الآثار المدمرة الخطيرة للعلاقات الحرة بين الرجل والمرأة، أن يفقد الزواج الطاهر قيمته في نفوس من استحوذ عليهم مرض العلاقات الحرة .

هـ ـ إباحة الزنا يستأصل النسل الأنساني، فإنه لا يقصد أحد من الرجل والمرأة بعلاقتهما الجنسية المطلقة أن يقوم بخدمة التناسل وبقاء النوع وإن حصل منه للنوع الإنساني والمجتمع أولاد فكلهم أولاد زنا، وتوليد ولد عن زنا عدوان عظيم على الولد نفسه وعلى التمدن الإنساني بأسره .

و ـ الإباحية والاختلاط تهدد الأمن والاستقرار وتبشر بالهزيمة، فحين تبتلي أمة من الأمم بمثل هذه الآفات بسبب تفحشها وتهتكها، وحين تتبدد ثروتها، وتتهدم أخلاقها، وتنفصم أواصرها .. وحين تجتاحها الأمراض الفتاكة تكون قد فقدت مقومات وجودها، وأسباب بقائها واستمرارها، ومن ثم تكون قد حكمت على نفسها بالإعدام.

٢٠ ـ وكشفت شبهة الملاحدة في أن المهر في الإسلام ثمن لشراء المرأة والاستمتاع بها بما يلي:

أولاً: إن المهر تكريم للمرأة، وتقديس للحياة الزوجية، وإظهار لمكانة الزوجة في نفس زوجها وإشعارًا له بأن الزوجة لا يسهل الحصول عليها إلا بالإنفاق والبذل، ولا يمكن أن يعتقد عاقل أن الإسلام وضعه ثمناً للمرأة وشرطاً لتملُّكها ؛ وذلك لسطوع الحقائق الآتية:

أ ــ الشريعة الإسلامية لا تجعل المهر شرطاً ولا ركناً في الزواج، وإن كان واجباً في العقد، إنما هو أثر من آثاره المترتبة عليه .

ب ــ أن الإسلام قد جعل المهر حقًا للمرأة، وألزم الزوج الوفاء به، إلا أنه لم يحدده بقدر محدد، ولم ينظر إليه بذاته،وهو في الإسلام عطيَّة محضة فرضها الله عز وجل للمرأة، ليست مقابل شيء يجب عليها بذله إلا الوفاء بحقوق الزوجية، كما أنها لا تقبل الإسقاط إلا بعد العقد .

ج ــ لو كان المهر ثمنا للزوجة لجاز للزوج أن يبيع زوجته لأن حق البيع ناشئ بالضرورة عن الملك ؛ وهذا ليس في الإسلام ولا من تعاليمه، بل هو شيء وُجِدَ في بعض الثقافات الأخرى .

ثانيا: المهر في الإسلام لا يرتبط بمسألة قضاء الشهوة والاستمتاع الجسدي:

وإنما هو مظهر من مظاهر تكريم المرأة والعناية بها فاعتقاد أنه مقابل للاستمتاع وقضاء الشهوة اعتقاد خاطئ ؛ إذ قد يموت أَحد الزوجين قبل الدخول وهنا يجب للزوجة ـ أو ورثتها ـ المهر كاملاً بالإجماع.

وكذلك فإن الزوج لو طلق زوجته بعد العقد وقبل الدخول وقد فرض لها مهراً، فإن لها نصف المهر، ثم إن الاستمتاع حاصل من كلا الطرفين، فلو كان المهر مقابلاً للاستمتاع لوجب على كلا الطرفين لا على الزوج وحده، وهذه حقيقة تَدُلُّ على أن المهر ليس إلا هدية ونِحلة من الزوج لزوجته، وعدم وجود المهر فيه امتهان للمرأة، وهو طريق سهل إلى الطلاق والزواج بأخريات، إذ لا يُكلِّف ذلك الرجل شيئاً .

٢١ ـ وكشفت شبهة الملاحدة في إباحة تعدد الزوجات للرجال، وعدم السماح للمرأة بالتعدد.بما يلي:

إن المساواة بين الرجل والمرأة في أمر التعدد مستحيلة طبيعة وخلقة، إذ لو أبيح للمرأة أن تعدد الأزواج بأن تكون عند زوجين فأكثر لفسد العالم، وضاعت الأنساب، وقتل الأزواج بعضهم بعضاً .

وشيء آخر وهو أن للرجل رئاسة الأسرة في جميع شرائع العالم فاذا أبحنا للزوجة تعدد الأزواج فلمن تكون رئاسة الأسرة ؟ أتكون بالتناوب؟ أم للأكبر سناً؟ ثم إن الزوجة لمن تخضع؟ أتخضع لهم جميعاً وهذا غير ممكن لتفاوت رغباتهم؟ أم تخص واحداً دون الآخرين، فيقتل الأزواج بعضهم بعضاً.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن طبيعة الأنوثة في المرأة نفسها تنكر تعدد الأزواج وتأباه لعوامل صحية ونفسية .

*وتعدُّد الزوجات تشريع قديم أباحته كل الشرائع السابقة على الإسلام، ثم جاء الإسلام فلم ينشئ تعدُّد الزوجات ولكنه قيَّده، من ناحية العدد، وقيده من ناحية الواجبات التي فرضها على الزوج.

فشرع الإسلام التعدد لأسباب كثيرة منها:

أ ـ زيادة نسبة الإناث عن نسبة الذكور، نتيجة معارك وحروب تحصد الرجال دون النساء.

ب- العقم قد يعترض المرأة قبل الزواج أو بعده، وبهذا يفقد الزواج هدفه الأسمى وهو طلب الولد، والتعدد هو الذي يكفل لهذه الأسرة الاستمرار في الحياة واستقرار الحياة العائلية.

ج - من النساء من تتعرض للطلاق والترمل فمن يكفلهن ويحفظ كرامتهن إلا التعدد؟

د - أن استعداد الرجل للعملية الجنسية غالبًا أكثر من استعداد المرأة، وقدرته على الإنجاب يمتد إلى سن متأخرة في حين أن هذا السن لدى المرأة أقل منه لدى الرجل، فكيف يتمكن الرجل من تحقيق رغبته؟ وليس من سبيل إلا التعدد أو امتهان المرأة بالزنا.

أن الذين يشنعون على الإسلام إباحته التعدد يعيشون العلاقات غير المشروعة، بل ويدعون إليها، ويسنون لها القوانين التي تحميها، باسم الصديقات والخليلات، ولا يقتصر على أربع فحسب، بل هو إلى ما نهاية له من العدد، ولا يلزم صاحبه بالاعتراف بما نتج عن هذا الاتصال من أولاد، بل يعتبرون غير شرعيين، يحملون على جباههم، خزي السفاح ما عاشوا، إنه تعدد خال من كل تصرف أخلاقي أو يقظة وجدانية، أو شعور إنساني، إنه تعدد تبعث عليه الشهوة والأنانية، ويفر من تحمل كل مسؤولية.

فأي النظامين ألصق بالأخلاق، وأكبح للشهوة، وأكرم للمرأة، وأدل على الرقي، وأبر بالإنسانية؟ .

٢٢ ـ وكشفت شبهة الملاحدة في أن الإسلام لم يبح للمرأة طلاق زوجها كما أباح للرجل من باب المساواة،بما يلي:

أولا: إن حق الرجل في الطلاق يقابله حق المرأة في الخلع، فالآية نفسها التي أباحت للرجل طلاق زوجته أباحت لها الخُلع، قال تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ (١).

وإنما كانت العصمة بيد الزوج، وأمر الطلاق إليه لسببين:

الأول: أن الرجل هو الذي تكلَّف كل مطالب الزواج والحياة الزوجية بعده من مهر ونفقات، فهو الذي تُصيبه خسارة الطلاق في ماله، ومما لا شك فيه أن هذا يمثل عاملا قويًّا يدفع الرجل ـ عند مواطن النزاع واحتدام المشاعر ـ إلى مزيد من التروّي وعدم التَّسرع في أمر الطلاق .

السبب الثاني: كون الرجل أكثر إدراكاً وتقديراً لعواقب هذا الأمر، وأقدر على ضبط أعصابه وكبح جماح عاطفته حال الغضب والثورة، بخلاف المرأة التي خُلقت بطباع وغرائز تجلعها أشد تأثراً وأسرع انقياداً لحكم العاطفة من الرجل، فهي إذا أحبت أو كرهت، اندفعت وراء العاطفة، لا تبالي بما ينجم عن هذا الاندفاع من نتائج، فلو جُعل الطلاق بيدها لأقدمت على فصم عُرَى الزوجية لأقل المنازعات التي لا تخلو منها الحياة

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٩ .

الزوجية، وتصبح الأسرة مهدَّدة بالانهيار بين لحظة وأخرى تهديداً أشد وأخطر من ذاك التهديد حال كون القوامة للرجل والطلاق في يده لما يمتاز به من رجاحة العقل، ورباطة الجأش، وقوة التحمل، وضبط النفس.

ثانياً: أن الشريعة الإسلامية لم تمهل جانب المرأة في إيقاع الطلاق:

لقد منحت الشريعة الإسلامية المرأة الحق في الخلع، كما منحتها الحق في الطلاق في أمور:

أ ـ بتفويض الطلاق: والتفويض إليها يكون بلفظ التخيير، والأمر باليد، والمشيئة، وإذا فوض الزوج زوجته في الطلاق مارست حق تطليق نفسها، وبدون وساطة أو قضاء .

ب ــ اللجوء إلى القضاء: فالمرأة حين تملك مبرِّرًا قويًّا مقبولا لطلاقها من زوجها، ترفع أمرها للقاضي، إن لم يُجِبها الزوج إلى الطلاق باختياره، فإذا ما ثبت لدى القاضي أن معايشتها لزوجها قد أدت ـ أو من شأنها أن تؤدي حتمًا ـ إلى ضرر لا يستطاع معه استمرار الحياة بين أمثالهما فإنه يحكم بالتفريق .

ومن هذا يتضح أن الإسلام أعطى للمرأة حقًّا في طلب التفريق بينها وبين زوجها في حالات خاصة يثبت فيها الضرر والإمساك بغير المعروف، ولم يجعل الطلاق وقفاً على الرجل وحده كما يزعمون.

٢٣ ـ وكشفت شبهة الملاحدة في عدم مساواة الإسلام بين الذكر والأنثى في الميراث، من وجهين:

الوجه الأول: أن توزيع الميراث في الإسلام قد جاء وفقاً للحكمة الإلهية، فما يصلح العباد بينه الله تعالى وأوضحه، وأنه أعطى لكل فرد حقه، وهؤلاء الذين يزعمون أن الإسلام قد ظلم المرأة حين لم يسو بينها

وبين الرجل لا يفهمون فلسفة الإرث في الإسلام، وهي فلسفة تقوم على قواعد ومبادئ منها:

أ ـ أن المال في الحقيقة ملكا لله تعالى، وقد استخلف الإنسان على تدبيره وإصلاح الحياة به، وليس من حقه أن يخرج على تعاليم الإسلام باستخدام هذا المال فيما يضره أو يضر أفراد مجتمعه وأمنه، وليس من حقه أن يورث من لم يكن له حق فيه، ولا ينقص من حق صاحب الحق فيه.

ب ـ يقوم الميراث في الإسلام على قاعدة "الغُرْمُ بالغُنْم " ومفادها: أن الأقربين أولى بالمعروف، حسب قرابتهم ودرجتهم في القرابة على أساس أن الأقارب لهم على بعضهم حقوق وعليهم واجبات، وقد روعيت هذه الحقوق والالتزامات في تحديد أنصباء الميراث .

ج ـ يقوم نظام الميراث في الإسلام على العدالة، وهي عدالة لا تقتضي المساواة المطلقة بين المستحقين للتركة، ولكنها تقتضي أن تختلف الأنصبة من وارث لآخر على حسب قرب الدرجة والجهة وصلة كل وارث بالآخر،بالإضافة إلى الالتزامات والمسئوليات المنوطة به .

وفي إطار هذه القواعد والمبادئ تختلف الأنصباء في المواريث بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة، وتوريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفاً عاماً ولا قاعدة مطردة في توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث، بل إن استقراء حالات الميراث ومسائله يكشف عن أن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل، وهناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماما، وهناك حالات عشر أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل، وهناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال .

أي أن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل، أو أكثر منه، أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال، في مقابل أربع حالات مُحددة ترث فيها المرأة نصف الرجل .

الوجه الثاني:إذا ثبت أن قوله تعالى: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾([1])، ليس قاعدة مطلقة تقتضي تفضيل الذكور على الإناث، وأن فلسفة الإرث في الإسلام قد راعت المسئوليات الملقاة على المكلفين في توزيع التركات، وإذا كان يبدو لأول وهلة أن الإسلام قد ظلم البنت، إذ جعل لها نصف حظ أخيها من تَرِكَة الأب، فإن ذلك قد قام على علة في التشريع، مفادها أن المرأة في الشريعة الإسلامية غير عائلة، فهي في كل أحوالها مسئولة من عصابتها أو زوجها،ومع ذلك فلها ذمتها المالية الخاصة بها، والرجل في الناحية الأخرى هو المنفق المتصرف المسئول عن ذلك كله زوجاً كان أو أباً، فهذا التفاوت مبني على أساس التفاوت بينهما في الواجبات المالية المطلوبة، فالرجل هو رب الأسرة المكلف بالإنفاق عليها، وعليه نفقة والديه الفقيرين والأقارب الفقراء .

أما المرأة، فأعفاها الإسلام من كل مسئولية مالية، ومع ذلك أعطاها نصف ما يأخذ الرجل المرهق بالتكاليف المكلف بأعباء المعيشة، فهي في الواقع أكثر منه حظاً في حيازة المال لنفسها، وهذا هو الأساس القويم في شرع الله الحكيم سبحانه وتعالى .

٢٤ ـ يستتاب الملحد، فإن استتيب، فتاب.. قبلت توبته.

٢٥ ـ إن كان الملحد لا تأويل له في كفره، فيكفيه في الإسلام: أن يأتي بالشهادتين؛ وإن كان متأولا في كفره، لم يحكم بإسلامه حتى يأتي بالشهادتين،ويبرأ معهما من كل تأويل مخالف لدين الإسلام، ويقر بوجوب

([1]) سورة النساء ، من الآية : ١١ .

ما جحد وجوبه، وتحريم ما استباحه من ذلك؛ لأنه كذب الله ورسوله بما أخبرا به، فلم يحكم بإسلامه حتى يقر بتصديقهما بذلك، وإن طلب الْمَهْلَ بعد العرض للتفكر حُبِسَ ثلاثة أيام، لأنها مدة ضربت لِإِبْلَاءِ الأعذار .

٢٦ ـ عقوبة الملحد بالقتل ليست أمراً متفقا عليه، فإذا احتفظ الملحد لنفسه بأفكاره ولم يؤذ بها أحدا من الناس فليس من حق أحد أن يعاقبه على ذلك بعقوبة دنيوية، أما إذا حاول نشر أفكاره التي تتناقض مع معتقدات الآخرين وتتعارض مع قيمهم التي يدينون لها بالولاء وأثار بذلك الفتنة والشكوك في نفوس الناس، فإنه يكون قد اعتدى على النظام العام للدولة، وأي إنسان يعتدي على النظام العام للدول في أي أمة من الأمم أو ينحاز إلى صفوف الأعداء ويحرضهم ضد مواطنيه فإنه يتعرض للعقاب، وقد يصل الأمر في ذلك إلى حد تهمة الخيانة العظمى التي تعاقب عليها كثير من الدول بالقتل .

وأخيراً: يجب على الباحثين المسلمين أفراداً وجماعات ومؤسسات بحثية أن يضاعفوا جهودهم في الرد على ما يثار حول الإسلام من شبهات ودحض ما يتقول به الأعداء من افتراءات، وأن تكون دراساتهم عن هجمات هؤلاء الأعداء متجددة ومتطورة أيضاً، لا تتوقف عند الدراسة الموضوعية لهجمات أعداء الإسلام، والتحليل العلمي لها، بل تتعدى ذلك إلى رصد تطوراتها ومستجداتها والتعرف الدقيق على طبيعتها، ومدى خطورتها، وأساليبها وأهدافها، لاستخلاص آثارها، ونتائجها في حاضر الأمة، ومستقبلها من أجل زيادة القدرة على مواجهتها، ومقاومتها والتصدي لها..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع.

أولا: القرآن الكريم:

ثانيا: كتب التفسير:

١ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ ـ ٧٧٤ هـ]: تفسير القرآن العظيم ـ طبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة .

٢ ـ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.

٣ ــ محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ــ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سنة النشر: ١٩٩٠ م .

٤ ـ فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ أجزاء ٦ – ٧: يناير ١٩٩٨م ـ الطبعة: الأولى. الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة .

ثالثا: كتب الحديث وشروحه:

١ــ الإمام أحمد بن حنبل: المسند ـ الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م . عالم الكتب ـ بيروت، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري .

٢ ــ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ): المعجم الكبير ـ الطبعة: الثانية ـ دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ـ المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٣ ـــ الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٠٢-٢٧٥هـ: سنن أبي داود . طبعة المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد .

٤ـــ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، (المتوفى: ٢٥٥هـ): سنن الدارمي ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م ـ الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ـ تحقيق: حسين سليم أسد الداراني .

٥ ـــ الإمام مالك بن أنس: الموطأ، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي .

٦ـــ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي (مولاهم) البخاري المتوفى في سنة ٢٥٦من الهجرة:صحيح البخاري . الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ الناشر: دار طوق النجاة ـ المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر .

٧ ـ محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين . الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠ م دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مع الكتاب تعليقات الذهبي في التلخيص .

٨ـــ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى سنة ٢٧٩هـ:سنن الترمذي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م مطبعة مصطفى البابي الحلبي، تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي.

٩ ـ ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)سنن ابن ماجه . الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٠ــ الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦ــ ٢٦١هـ: صحيح مسلم ـ طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

رابعاً: كتب الفقه:

كتب الفقه الحنفي:

١ــ زين الدين إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ): البحر الرائق شرح كنز الدقائق . ومعه تكملة البحر الرائق لمحمد بن الحسن بن علي الطوري الحنفي ـالطبعة الثانية ـ بدون تاريخ ـ الناشر: دار الكتاب الإسلامي .

٢ــ الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بملك العلماء ت٥٨٧هـ: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ـ طبعة جديدة حققها وخرج أحاديثها على ثلاث نسخ خطية: محمد عدنان بن ياسين درويش ـ الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ =٢٠٠٠م دار إحياء التراث العربي .

٣ ــ الشيخ عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني: اللباب شرح الكتاب ــ الناشر: المكتبة العلمية، بيروت – لبنان ـ حققه، وفصله، وضبطه، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد .

٤ ــ عبد الله بن الشيخ محمد بن سليمان المعروف بداماد أفندي: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي .

٥ ـ عثمان بن علي فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ): تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ ــ الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ ـ الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية بولاق، القاهرة.

٦ ــ محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (المتوفى: نحو ٥٤٠هـ): تحفة الفقهاء ـ الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧ــ محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ): المبسوط ــ تاريخ النشر: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ـ الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٨ــ محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي الحنفي: رد المحتار على الدر المختار ـ الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ـ الناشر: دار الفكر-بيروت .

كتب الفقه المالكي:

١ ــ أحمد بن تُرْكي بن أحمد المنشليلي المالكي (المتوفى: ٩٧٩هـ): خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية ـ عام النشر: ٢٠٠٢ م الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة ـ مراجعة: حسن محمد الحفناوي .

٢ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، أبو زيد أو أبو محمد، شهاب الدين المالكي (المتوفى: ٧٣٢هـ): إرْشَادُ السَّالِك إلىَ أَشرَفِ المَسَالِكِ فِي فقهِ الإمَامِ مَالِك ــ الطبعة: الثالثة ـشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

٣ ــ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ): بداية المجتهد ونهاية

المقتصد ـ تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م ـ الناشر: دار الحديث – القاهرة.

٤ ـــ الشيخ محمد عرفة الدسوقي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير وبهامشه الشرح المذكور مع تقريرات للعلامة المحقق سيدي الشيخ محمد عليش شيخ السادة المالكية ـ رحمه الله ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م دار الفكر .

٥ـ محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧هـ): التاج والإكليل لمختصر خليل ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م الناشر: دار الكتب العلمية.

كتب الشافعية:

١ ـــ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ دار الفكر ـ بيروت .

٢ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٣ ـــ الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ـ دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ: علي محمد معوض، والشيخ: عادل أحمد عبد الموجود . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م دار الكتب العلمية .

٤ـــ أبو الحسن يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني الشافعي اليمني ـ رحمه الله ـ (٤٨٩. ٥٥٨ هـ): البيان في مذهب الإمام الشافعي . اعتنى

به قاسم محمد النوري، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م دار المنهاج للطباعة والنشر والتوزيع .

كتب الحنابلة:

١ ـ إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح (المتوفى: ٨٨٤هـ): المبدع في شرح المقنع ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢ ــأبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ): الكافي في فقه الإمام أحمد ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م الناشر: دار الكتب العلمية .

٣ــ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ: المغني على مختصر الخرقي ـ ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين ـ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م دار الكتب العلمية .

٤ ـ علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ): الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ـ الطبعة: الثانية - بدون تاريخ ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي .

٥ ـ الشيخ مرعي بن يوسف: غاية المنتهى وشرحه مطالب أولي النهى ـ الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي بدمشق .

كتب الزيدية:

١ــ محمد بن علي الشوكاني ١١٧٣ـ ١٢٥٠ هـ: كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الطبعة الأولى، دار ابن حزم .

خامسا: كتب اللغة:

١ ــ إبراهيم مصطفى وآخرون (مجمع اللغة العربية بالقاهرة): المعجم الوسيط ـ الناشر: دار الدعوة.

٢ ــ أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة ـ طبعة دار الفكر، عام النشر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م تحقيق: عبد السلام محمد هارون .

٣ ــ أحمد مختار عبد الحميد عمر المتوفى ١٤٢٤ هـ بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصر ــ الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م الناشر: عالم الكتب .

٤ ــ الدكتور سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي ــ الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ـ الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية.

٥ ــ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح طبعة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م، مكتبة لبنان،بيروت .

٦ ـ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي:تهذيب اللغة ـ الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ المحقق: محمد عوض مرعب.

٧ ــ محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء ـ الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ـ الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

٨ ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس المحقق: مجموعة من المحققين ـ الناشر: دار الهداية.

٩ ــ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب . الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .دار الفكر.. دار صادر – بيروت .

سادسا: كتب السير والتراجم:

١ ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ الناشر: دار صادر – بيروت ـ المحقق: إحسان عباس.

٢ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ط الفكر، عام النشر ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م طبعة دار الفكر .

٣ ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام ـ الطبعة: الخامسة عشر ـ مايو ٢٠٠٢ م الناشر: دار العلم للملايين.

٤ ـ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء ـ الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ـ مؤسسة الرسالة ـ المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٦ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م ـ الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان .

سابعاً: كتب العقيدة :

١ـــ شحاته محمد صقر: عرفوا الحق فتركوا الباطل ـ مكتبة دار العلوم، البحيرة، مصر.

٢ ـ د/ صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي: الإلحاد وسائله، وخطره، وسبل مواجهته ـ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠١٣ م دار اللؤلؤة ـ بيروت، لبنان.

٣ ـ د/ عبد الرحمن عبد الخالق : الإلحاد أسباب الظاهرة وطرق العلاج ـ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤ ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب الطبعة: ١٤١٣هـ ـ الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ـ المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، نعمان بن محمود .

٥ ـ عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي: العقيدة في الله ـ الطبعة: الثانية عشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن.

٦ـ د. غالب بن علي عواجي: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ـ الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة .

٧ـ د. مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ـالطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ ـ الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

٨ ـ الإمام محمد الخضر حسين: الإلحاد أسبابه، طبائعة، مفاسده، أسباب ظهوره، علاجه ـ طبعة ١٤٠٦ هـ مكتبة ابن تيمية، الكويت، تقديم وتعليق: محمد إبراهيم الشيباني .

٩ ـ محمد بن عبد الرحمن الخميس: شرح الرسالة التدمرية طبعة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ م الناشر: دار أطلس الخضراء .

١٠ ـ نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ): جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ـ عام النشر: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ـ الناشر: مطبعة المدني ـ قدم له: علي السيد صبح المدني - رحمه الله -

ثامناً: مراجع أخري متنوعة:

١ ــ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: السحر الحلال في الحكم والأمثال ــالناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

٢ ــ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ): الطب النبوي ــ الطبعة: الأولى، ٢٠٠٦ م ـ الناشر: دار ابن حزم ـ المحقق: مصطفى خضر دونمز التركي.

٣ ــ لواء / أحمد عبد الوهاب: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م مكتبة وهبة، مصر.

٤ ــ أحمد فائز: دستور الأسرة في ظلال القرآن ــ الطبعة السادسة ١٩٩٢ م مؤسسة الرسالة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

٥ ــ د. أحمد القاضي – معهد الطب الإسلامي للتعليم والبحوث – بنماسيتي – فلوريدا – الولايات المتحدة

٦ ـ الشيخ / أحمد محيي الدين العجوز: منهاج الشريعة الإسلامية ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .

٧ ـ د / الآن كوت: دراسة حول الصوم الطبي، النظام الغذائي الأمثل الطبعة الثانية ١٩٨٧م مؤسسة الإيمان، بيروت.

٨ـــ د/ حامد محمد حامد: رحلة الإيمان في جسم الإنسان ـ طبعة ١٩٩١ م ـ دار القلم ـ دمشق.

٩ ـ د. حكمت عبدالكريم فريحات: الوجيز في علم وظائف الأعضاء ـ الطبعة الأولى ١٩٨٦ م دار البشير، عمان .

١٠ ـــ حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي: العلمانية وموقف الإسلام منها ـ الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ـ العدد ١١٥ – السنة ٣٤ – ١٤٢٢ هـ(الدعوة وأحوال المسلمين)

١١ ـ أ.د/ رفعت السيد العوضي أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر: الإعجاز التشريعي في الزكاة (أوجهه ومعاييره ودلالاته الاجتماعية) المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

١٢ ـ زكي على السيد أبو غضة: الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م .

١٣ ـ د/ عادل أحمد عبد الموجود: هجمات المستشرقين والمنصرين على المرأة المسلمة ـ دراسة فقهية تحليلية في ضوء الواقع المعاصر وفقه الدعوة إلى الله تعالى ـ الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٣ م دار الفتح ـ مدينة نصر ـ القاهرة .

١٤ ـــ د/ عبد الباسط سيد: أستاذ الفيزياء الحيوية الجزيئية وعضو هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة: إعجاز مناسك الحج الاثنين ٢٣ ذو القعدة ١٤٢٨ الموافق 03 ديسمبر ٢٠٠٧م.

١٥ ـ د / عبد الجواد الصاوي:الصيام معجزة علميةـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ـ دار القبلة

١٦ ـ د.عبدالجواد الصاوي: بحث بعنوان "الأمراض الجنسية الحصاد الحتمي للإباحية ".

١٧ ـ عبد الدائم الكحيل: الإعجاز العلمي في الحج بتاريخ ١٣ / ١٠ / ٢٠١٣ م البوابة الدينية.

١٨ ـ عبد الرحمن بن حسن حنبكة: أجوبة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشرية العاملة تحت تنظيم الآباء البيض ـ الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م مكتبة المنار ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى .

١٩ ـ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة: صراع مع الملاحدة حتى العظم ـ الطبعة: الخامسة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ـ الناشر: دار القلم، دمشق .

٢٠ ـ عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ـ الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ـ الناشر: دار القلم، دمشق.

٢١ ـ د/ عبد الشكور عبد اللطيف: ماذا كشفت الأبحاث العلمية عن الفوائد الطبية للوضوء؟ (من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الإمارات ـ دبي ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م .

٢٢ ـ الشيخ عبد العزيز جاويش: الإسلام دين الفطرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م ـ الزهراء للإعلام العربي .

٢٣ ـ د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ): عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين ـ الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ـ الناشر: مكتبة وهبة.

٢٤ ـ الشيخ عبد المجيد الزنداني: الإعجاز العلمي في الصوم عن صحيفة صوت الإيمان، نشر يوم الخميس ١٢ أغسطس ـ آب ٢٠١٠م.

٢٥ ـ د/ فضل إلهي:التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي ـ طبعة دار المعارف ـ الرياض

٢٦ ـ قسطاس إبراهيم النعيمي: الإعجاز العلمي في المضمضة، والاستنشاق، والاستنثار:مراجعة: علي عمر بلعجم ٨/ ٤/ ٢٠٠٨م.

٢٧ ـ د. ماجدة عامر ـ أستاذة المناعة بجامعة عين شمس واستشاري الطب البديل .: الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية .

٢٨ ـ محمد إبراهيم برناوي: خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي ـ الطبعة: ربيع الآخر – رمضان ١٤٠١ هـ الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٢٩ ـ د/ محمد إبراهيم الشريف: أحكام التركات، الميراث والوصية، دراسة مقارنة ـ طبعة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م.

٣٠ـ الشيخ محمد أبو زهرة: الأحوال الشخصية ـ الطبعة الثالثة ـ دار الفكر العربي .

٣١ ـ الشيخ محمد أبو زهرة: تنظيم الأسرة وتنظيم النسل ـ طبعة دار الفكر العربي، القاهرة .

٣٢ ـ د/ محمد أحمد الغمراوي: الإسلام في عصر العلم ـ الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م مطبعة السعادة ـ إعداد الدكتور / أحمد عبد السلام الكرداني .

٣٣ ـ أ . د/ محمد الأحمدي أبو النور [وزير الأوقاف المصري الأسبق] وآخرون: موسوعة بيان الإسلام ـ الرد على الافتراءات والشبهات ـ

٣٤ـ د/ محمد البهي: الإسلام واتجاه المرأة المعاصرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ١٩٨٢ م، مكتبة وهبة .

٣٥ ـ د/ محمد حسن أبو يحيي (مدرس في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، والمدرس في جامعة الملك سعود سابقا): أهم قضايا المرأة المسلمة ـ دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن.

٣٦ ـ د/ محمد راتب النابلسي: الخطبة الإذاعية (٢٧): خ١ – أحكام الحج، خ٢ – الإعجاز العلمي في قوله تعالى من كل فج عميق. بتاريخ: ١٩٩٣-٠٤-٣٠ .

٣٧ ـ أ.د/ محمد شامة: تعدد الزوجات في الأديان السماوية (مجلة الأزهر: جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ مارس ٢٠١٥ م).

٣٨ـ د/ محمد علي الباز: الأمراض الجنسية ط٢ سنة ١٩٨٦م دار المنارة.

٣٩ ـ د/ محمد علي الباز:الإيدز ومشاكله الاجتماعية والفقهية ط١ دار المنارة ١٩٩٦).

٤٠ ـ الشيخ محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ـ الطبعة السابعة ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م دار الشروق ـ القاهرة .

٤١ـ الأستاذ / محمد بن قطب بن إبراهيم: شبهات حول الإسلام ـ الطبعة الحادية عشرة .

٤٢ ـ الشيخ / محمد ياسين: ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين ـ ٥٠٠ سؤال وجواب في الرد على أهل الكتاب ـ .الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م الناشر مكتبة الإيمان ـ قدم له أ .د/ عبد المهدي عبد القادر أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، د/ محمد عمارة، د/ محمود شعبان إبراهيم.

٤٣ ـ د/ محمود حمدي زقزوق:الإسلام في مواجهة حملات التشكيك ـ طبعة ٢٠٠٠ م دار المعارف ـ القاهرة، سلسلة اقرأ .٦٥٤

٤٤ ــ الشيخ / محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة ـ طبعة ١٩٨٠ م مطبعة القاهرة، مصر، والطبعة التاسعة ـ٢٠٠٧ م، دار الشروق، وطبعة هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الآخرة لسنة ١٤٣٦ هـ ـ

٤٥ ــ مصطفى أبو الغيط عبد الحي: شبهات حول المرأة في الإسلام ـ الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م دار الفلاح.

٤٦ ــ مصطفى أبو الغيط عبد الحي: الموازنة بين علاقة المرأة بالرجل الأجنبي في شريعة الإسلام وحضارة الغرب ــ الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ـ الفيوم ـ مصر .

٤٧ ــ أ ـ د/ مصطفى بن حمزة: إرث المرأة ـ الحقيقة الشرعية والادعاء ـ مجلة الأزهر ـ عدد رجب ١٤٣٦ هـ ـ مايو٢٠١٥ م الجزء "٧"السنة "٨٨ " .

٤٨ ــ د/ مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون ـ الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م دار الوراق للنشر والتوزيع .

٤٩ ـد/ مصطفى محمود: حوار مع صديقي الملحد .هدية مجلة الأزهر في شهر جمادى الأولى ١٤٣٦ هجرية .

٥٠ ـ نجيب الكيلاني: الصوم والصحة ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨ م مؤسسة الرسالة، بيروت .

٥١ ــ وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان ــ الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م ـ الناشر مكتبة المدينة المنورة .

٥٢ ـ وحيد الدين خان : المراة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ـ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م دار الصحوة ـ القاهرة ـ ترجمة:سيد رئيس أحمد الندوي، مراجعة: ظفر الإسلام خان.

٥٣ ـ أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ: الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ـ الطبعة: الرَّابعة ـ الناشر: دار الفكر – سوريَّة – دمشق..

٥٤ ـ د/ يحيى هاشم حسن فرغل: المرأة بين حقائق الإسلام وأباطيل الغرب ـ طبعة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م دار البيان للنشر والتوزيع .

محتويات البحث

عنوان البحث

المقدمة

خطة البحث: يتكون البحث من:مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة

التمهيد: معنى الإلحاد،، وأسبابه، وآثاره، وكيفية مواجهته

أولا : تعريف الإلحاد

ثانيا: نشأة الإلحاد

ثالثا: أسباب الإلحاد وانتشاره

رابعاً: آثار الإلحاد في حياة الإنسان

خامساً: كيفية مواجهة الإلحاد

الفصل الأول: كشف الشُبه الفقهية للملاحدة في العبادات في ضوء الشريعة الإسلامية، والعلم الحديث

المبحث الأول: كشف شبهة الملاحدة في الطهارة

المبحث الثاني: كشف شبهة الملاحدة في الزكاة

المبحث الثالث: كشف شبهة الملاحدة في الصيام

المبحث الرابع: كشف شبهة الملاحدة في أن مناسك الحج بقايا وثنية صريحة

الفصل الثاني : كشف الشُبه الفقهية للملاحدة في الأحوال الشخصية في ضوء الشريعة الإسلامية والعلم الحديث

المبحث الأول: كشف شبهة الملاحدة في الدعوة إلى إباحة الاختلاط والعلاقات الحرة بين الرجال والنساء

المبحث الثاني: كشف شبهة الملاحدة في أن المهر في الإسلام ثمن لشراء المرأة والاستمتاع بها.

المبحث الثالث: كشف شبهة الملاحدة في إباحة تعدد الزوجات للرجال، وعدم السماح للمرأة بالتعدد

المبحث الرابع : كشف شبهة الملاحدة أن الإسلام لم يبح للمرأة طلاق زوجها كما أباح للرجل من باب المساواة

المبحث الخامس : كشف شبهة الملاحدة في عدم مساواة الإسلام بين الذكر والأنثى في الميراث

تتمة: في توبة الملحد

الخاتمة: تشمل أهم النتائج المستفادة من هذا البحث

ثبت المصادر والمراجع